نزار قباني

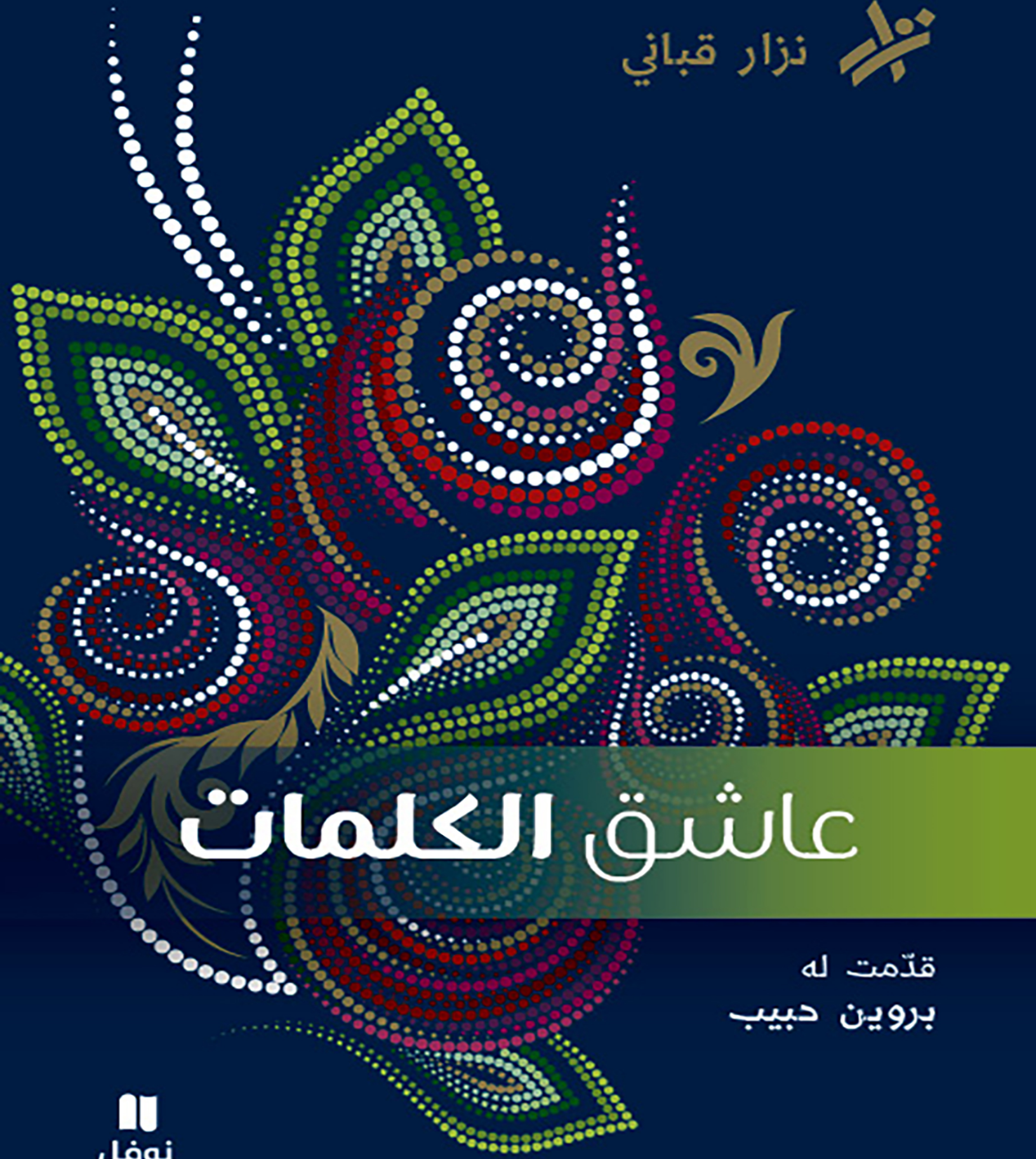

عاشق الكلمات

قدّمت له
بروين حبيب

نوفل

نزار قباني

عاشق الكلمات

قدّمت له بروين حبيب

نوفل

حقوق النشر

جميع الحقوق محفوظة.

صدرت عام 2022 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان

© هاشيت أنطوان ش.م.ل.، ٢٠٢٢
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoine
instagram.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها – من دون الحصول على إذن خطّي مسبق من الناشر.

إعداد: **جوني كارليتش**
تصميم الغلاف: **داليا ضاهر**
تصميم الداخل: **ماري تريز مرعب**
تحرير ومتابعة إعداد: **ليلى مرهج**
متابعة نشر وعلاقات عامّة: **ميرنا باسيل خليفة**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-614-469-814-3
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-469-815-0

ما أحلى الرجوعَ إليه

لعلاقتي بشعر نزار قبّاني قصّةٌ تستحقُّ أن تُروى، يُسمّيها من يعرفني هوَسًا، وأسمّيها عشقًا بكلّ ما في هذا العشق من تقلّباتٍ بين الوصل والصّدود، والقرب والبعد، والشّوق والإعراض.

كانت قصائدُه أنيسةَ مراهقتي، وتَصادقَ ديوانُه «أشهد أن لا امرأة إلّا أنت» مع خزانتي، ولم يَرْوِ غليلي أنّ بحوثي في الجامعة كانت كلّها عنه، فلم يزدني الوِرْدُ من شعره إلّا عطَشًا. حفظتُ قصائدَه، وردّدتها في نشوةِ صوفيٍّ، وألقيتُها في المسابقات، فرفعتني إلى المراتب الأولى. فليس عجيبًا أن يصبح شعرُه تميمةً أتفاءل بها أنعَمَتْ عليّ في الجامعة وعند من يعرفني بلقبِ «عاشقة نزار».

نقلتُ هذه العدوى الجميلةَ إلى طالباتي، فما زلت أعتقد أنّنا لا يمكن أن نَدخلَ مدينة الشّعر السّحريّة ونغريَ الشّباب بمرافقتنا إليها إلّا عبر بوّابة «نزار». فقصائده هي المدخل السّريع والمضمون لتذوّق الشّعر، لذلك تقاسمتُ شغفَ قراءته مع المريداتِ الجَديدات بدعمٍ من المديرة شريكتي في العشق النزاري يومذاك، برغم انزعاج من يرى شعره من «التّابوهات»، ويصنّفه مع الممنوعات.

نصحني أستاذي صلاح فضل أن أقتل نزار قبّاني بحثًا حتى أُشفى من هذه «التعويذة التي تَهوَّسْتُ بها». وحين شرعتُ في إعداد رسالتي للماجستير «تقنيّات التّعبير في شعر نزار قبّاني» تصاحبتْ خيبتي مع ابتهاجي. خيبةٌ مردُّها إلى ندرة الدّراسات الأكاديميّة الجادّة عن شعره، وكنت أعتقد أنّني لا أجد ثقب إبرة أنفذ منه لدراسته، فإذا بي أمام سيل من كتب انطباعيّة تنفيه إلى بلاد ما بين النّهدين، وتجعله وصيفًا في بلاط النساء.

وابتهاجٌ لأنّني سأمشي في دروبٍ عذراءَ ومسالكَ مجهولةٍ لأشرّحَ الظاهرة النزاريّة بمشرط المناهج الحديثة في النقد، فأدرك بعقلي ما أحببتُ بقلبي من جهة، وأفكّك شيفرة السّحر النزاري

عسى أن يذوب هوَسي بشعره من جهة ثانية. فكان بدءُ بحثي من نزار قبّاني الشّخص نفسه، فـ«ما أطيب اللقيا بلا ميعاد» وبميعاد أيضًا...

وقتَها لم أكن أدرك حين قلتُ لأستاذي علوي الهاشمي: «حلمي أن ألتقي نزار قبّاني» أنَّ أُذُن القدر كانت مصغيةً لي، فيسّرت لي وساطةُ شاعرين تَحقُّقَ هذا اللقاء الأثيري، إذ تواصل أستاذي علوي مع سفير المملكة السعوديّة في لندن الأديب الشاعر غازي القصيبي وكان صديقًا لنزار، فرتّب لي موعدًا معه.

شعرتُ وأنا متّجهة إلى بيته وكأنّي في عربة تجرّها أحصنةُ القصائد، تعرّج بي إلى سماوات الإبداع. من لهفتي صعدتُ درج المبنى اللندني الجميل أنهب الطوابق راكضة دون أن أنتبه إلى وجود مِصعد، ورأيته ينتظرني أمام الباب مرحّبًا بابتسامةٍ ووِدٍّ صادق، كلّ شيء في بيته يَشي بالأناقة، أثاثُ البيت، لوحاتُه، ثيابُه، جلستُه، طريقةُ صبِّه للقهوة، شعرتُ بأنّني دخلت ديوان شعر لا بيتًا.

سألني عن بحثي وعمّا يعجبني من شعره، وحين أجبته بأنّني أحبّ غزلياتِه، لم يسرّه جوابي كثيرًا، وفهمتُ في ما بعدُ أنّه يضيق بمن يصرّون على تنميطه شاعرَ المرأة فقط، بحسن نيّة حينًا وبسوئها حينًا آخر، مهملين دواوينَ كاملة من شعره السّياسي، وقصائدَ ردّدها العالم العربي في محطّاته المفصليّة ففجّرتْ غضبَه أو ضمّدتْ جرحه. ثمّ حين أخبرته أنّني أحفظ من شعره الكثير رغب أن يسمع بعضَه منّي، ولمّا أنهيت إلقائي قال لي مجاملًا: «أنت تقرئين شعري أحلى منّي». خرجتُ من بيته وأنا أعتقدُ أنّني كنت في حلم جميل صحوتُ منه فجأةً، لولا أنّ في يدي ديوانَه «مايا» وعليه إهداء بخطّه المترف «بروين حبيب الصديقة العزيزة».

ودخلتُ عوالم نزار هذه المرّة ومشرط الجراح في يدي، مرهفةً سمعي إلى نبضات الإيقاع في شعره، أتتبّعها وهي تخفق عاليةً بين ضلوع قصائده العموديّة أو حين تخفِتُ قليلًا في قصائده النّثريّة، وأفهمُ منها سرّ خلود هذا الشعر. وكم راهن من يغارون منه – وغيرة الشّعراء أشدّ من غيرة النّساء – على تلاشي الولع بالقصيدة النزاريّة بعد وفاته، فهو – برأيهم – كان رافعةً لها بحضوره الطاغي، ووسامته اللافتة، وإلقائه الباهر، ودبلوماسيته المعهودة، وستنقشع سحابةُ الوهم بعد رحيله. ولكنّهم جهلوا أنّه طائرُ فينيق محكومٌ بالخلود، يُبعث دائمًا من رماده مع دواوينه التي يعاد طبعها باستمرار لتجعل منه الشاعر العربي الأكثر مقروئيّة، وليُبعثَ ثانيةً في منشورات جيلٍ جديدٍ لا يحبُّ الشّعرَ ولكنّه يتناقل أبيات نزار على وسائل التواصل الاجتماعي في شكل حِكَمٍ ترسم له خريطة طريق الحبّ.

فكّكتُ شعره كلمة كلمة، فحصدتُ ما استطعتُ من قمح الكلمات من حقوله الدلاليّة، وجمعتُ باقاتٍ من ألفاظ الحزن والفرح والحياة والموت، لأكتشفَ سرَّ «تشعير الكلمات»، وأطّلعَ على القدرة

التي ترفع التفاصيل اليوميّة التي لا يُلتفَتُ إليها إلى قيم جماليّة. وتَفحَّصتُ صورَهُ مدقِّقةً في ملامحها المدهشة، وإن غلّفها بتشبيهٍ من هنا واستعارةٍ من هناك. وتَعرّفتُ إلى ظواهره الأسلوبيّة واحدة تلو أخرى، من تكرارٍ ولعبةِ طباقٍ وتطعيمٍ باللفظ الأجنبي، لأجدني بعد هذه الرحلة الشاقّة في جسد القصيدة النزاريّة أشدَّ حبًّا وأكثرَ شغفًا ولكنّه حبُّ العارفة بما يجذبها في حبيبها، حبٌّ كان حبيس القلب فتسرّب إلى العقل فهل يزول بعدُ؟!

هو عندي وعندَ المنصفين محطّة مفصليّة في مسيرة الشعر العربي لا يمكن إغفالها، فهل نستطيع أن نعدِّدَ رموز الشّعر العربي وننسى المتنبّي مثلًا! قلّد نزار قبّاني الكثير فكانوا صورة مشوّهة عن أصلٍ عصِيّ على التقليد، واتّهمه الحاسدون بالسّرقة من فلان وفلان، فأخرج لهم كنزًا من أربعين ديوانًا ليقول للأربعين حرامي: ما حاجة من يملك الشّمس للشموع الضئيلة. وأثبتَ لهم للمرّة الألف أنّه من سلالة التجّار (الشَّوامِ) الذين يجيدون عرض بضاعتهم النادرة وتسويقها، وحتى محاولاتهم لتبخيسها ستروّج لها أكثر.

منْ غيره استطاع أن يُنزلَ القصيدةَ من مقصورتها الملكيّة لتأكلَ الطعامَ وتمشي في الأسواق؟ ومن له القدرة ليصوغَ من كلمات عاديّة تجري على لسان الجميع عِقدًا يزيّن به جيدَ الإبداع الشّعري؟ ومن غيره تقمّص نفسيّة المرأة فخلَّدَ جوربها ودبّوسها وقميص نومها الوردي، وكتب يومياتها اللامبالية؟ ومن غيره أيضًا ائتمنه العشّاق على أسرارهم فباحوا بلسانه، وجعلته الصبايا نديم وسائدهنّ، واتّخذه الكادحون والمحبطون لسان حالهم زمنَ الهزائم والخيبات وما أكثرها؟

أعتقد أنّ نزار قبّاني كافأني جزاءَ عشقي لشعره حيًّا وميتًا، فأمّا في حياته فحين أتاح لي لقاءَه ليصبح هذا اللقاءُ واحةَ جمال ألجأُ إليها حين تحاصرني بشاعة الواقع وتتيه خطواتي في صحراء الإحباط، فحينها أستذكر اللقاءَ بتفاصيله الجميلة وأشيائه الصغيرة فيملأ هواء الإبداع صدري، وتهبّ عليّ نسائم الرضى.

وأمّا في مماته فبفضله سلكَتْ مسيرتي الإعلاميّة منعطفًا مضيئًا أثرى تجربتي ووسّعَ أفقي، وذلك حين شاركتُ بتكليف من تلفزيون البحرين بسهرة عربيّة في مهرجان القاهرة عن نزار قبّاني بعيد وفاته، فأعددت وثائقيًّا عن حياته وشعرِه عنوانه «شاعر في قلب عصره» استثمرتُ فيه كلَّ شغفي بالشاعر وشعره، فكانت نتيجة ذلك حصولي على الجائزة الأولى التي يمنحها المهرجان «جائزة النخلة الذهبيّة»، وانتزاعي عقدَ عمل لمدّة سنة بعد أن سمعني مدير تلفزيون دبي فأعجبَ بإلقائي وبإعدادي، وامتدّتِ السّنة إلى عشرين سنة أخرى كانت خيرًا عليّ وصنعتِ الإعلاميّةَ التي أصبحتُها اليوم، وبعد هذا ألا يحقّ لي أن أقولَ إنّ نزارًا بادلني حبًّا بحبّ؟!

كلّما أقول شُفيتُ من العشق النزّاري أضبط نفسي متلبّسةً بحبّه أكثر فأكثر، فحين زرت لبنان للمرّة الأولى سنة ألفين، وجدتني أنزل في فندق «السمرلاند» وهو الفندق الذي كان ينزل فيه

شاعري الأثير، أحسستُ بطيفه يحوم في الأجواء يؤانسني، أسمع صوتَه وأرى صباحةَ وجهه، فهنا شرب قهوتَه وهناك كتب قصيدة جديدة. وحين زرتُ دمشقَ – وقد أحببتها من خلال شعره – وجدتُها مألوفةً لي أعرفها بتفاصيلها، فقد زرتها سابقًا في سيرته «قصّتي مع الشعر»، وشممتُ ياسمينها، وقطفتُ العنب من عرائشها، وشربت من نوافيرها، وتسكّعت في حاراتها في قصائده. فهل أُلام بعد هذا إذا قلت إنّني أشعر أنّني ابنته أو صديقته، أتتبّع أخبارَه وأحفظ أشعارَه، وألبس السوادَ يوم وفاته فيعزّيني الناس فيه، وكم قلتُ في نفسي «لخير هذا الحبّ فلنفترق قليلًا» فأجدني موغلة في التعلّق به أكثر فأكثر.

وحين لم ينفعني التنقيبُ البحثيُّ في الابتعاد عنه، أشرعتُ نوافذ ذائقتي لشعراء آخرين، لعلّي أزرع في حديقة الروح أزهارًا مختلفة الألوان، فرافقتُ السيّاب تحت المطر لأخفّف من غربته على الخليج، ولاعبتُ درويش بالنّرد وهو يروي لي عشقه الممنوع لريتا، وبكيتُ مع أمل دنقل بين يدي زرقاء اليمامة، وأطعمتُ نوارس قاسم حدّاد بعضًا من خبز الحبّ. ولكن.. هل خرجتُ فعلًا من عباءة نزار؟ فلماذا إذن لا يزال حديقتي السريّة؟ ولماذا لا أزال أذهب صباحًا كلَّ يوم إلى مدرسة الحبّ مع كاظم الساهر، وأجلس عصرًا مع عبد الحليم حافظ ليقرأ لي فنجاني، وفي الليل تُريني نجاة الصغيرة فساتينها التي رقصتْ على قدميه؟

عشقتُ شعره طالبةً، ودرستُه باحثةً، وقدّمتُ له التحيّة مرارًا إعلاميّةً، وحاولتُ جاهدةً الفرارَ من قفصه الذهبي، والتّحليقَ بعيدًا في سماءٍ مختلفة من الحرّيّة والإبداع، فما بال هذه «المختارات» تعيدُني إلى حبّي الأول، إلى شعرِ عاشقِ الكلمات، مع أنّني:

كم قلتُ إنّي غيرُ عائدةٍ له... ورجعتُ.. ما أحلى الرّجوعَ إليهِ.

الدكتورة بروين حبيب

لماذا أكتب؟

أَكْتُبُ...
كيْ أُفَجِّرَ الأشياءَ، والكتابةُ انفجارْ
أكْتُبُ...
كي ينتصرَ الضوءُ على العُتْمَةِ،
والقصيدةُ انتصارْ...
أكْتُبُ...
كي تقرأَني سنابلُ القمحِ،
وكي تقرأَني الأشجارْ
أكْتُبُ...
كي تَفْهَمَني الوردةُ، والنجمةُ، والعصفورُ، والقِطَّةُ، والأسماكُ، والأصْدافُ، والمَحارْ...

* * *

أكْتُبُ...
حتّى أُنقذَ العالمَ من أضْراسِ هُولاكو.
ومن حُكْم الميليشْيَاتِ،
ومن جُنُون قائد العصابَهْ
أكتُبُ...
حتّى أُنقذَ النساءَ من أقبية الطُغاةِ
من مدائن الأمواتِ
من تعدُّد الزوجاتِ،
من تَشابُه الأيّام،

والصقيعِ، والرتابَهْ
أكتُبُ...
حتّى أُنقذَ الكِلْمَةَ من محاكم التفتيشِ...
من شَمْشَمَة الكلابِ،
من مشانِقِ الرقابَهْ...

* * *

أكتُبُ... كي أنقذَ من أُحبُّها
من مُدُنِ اللاشِعْرِ، واللاحُبِّ، والإحباطِ، والكآبَهْ
أكتبُ... كي أجعلَها رَسُولَةً
أكتبُ... كي أجعلَها أيْقُونةً
أكتبُ... كي أجعلَها سحابَهْ

* * *

لا شيءَ يحمينا من الموتِ،
سوى المرأةِ... والكتابَهْ...

قصائدُ مَغْضُوبٌ عَلَيْها...، 1986

وَرقة إلى القَارِئ

كمَيْس الهَوَادج.. شرقيةً
تَرُشُّ على الشمسِ حُلْوَ الحِدَا

كدَنْدَنة البذْوِ فوق سريرٍ
من الرمل، ينشفُ فيه النِدا

ومثلَ بُكاء المآذن، سرتُ
إلى الله أجرحُ صحوَ المدى

أُعبّئُ جَيبي نجومًا.. وأبني
على مقعد الشمس لي مقعدا

ويبكي الغروبُ على شُرْفتي
ويبكي.. لأمنحَهُ موعدا

شراعٌ أنا لا يطيقُ الوصولْ
ضَياعٌ أنا لا يريدُ الهدى

حروفي، جُموعُ السُنُونو، تمدُّ
على الصحو، معطفَها الأسودا

أنا الحرفُ. أعصابُهُ. نبْضُهُ

تمزُّقُهُ قبلَ أن يُولَدَا..

أنا لبلادي.. لنَجْماتِها
لغَيْماتِها.. للشذا.. للنَدَى

سفحتُ قواريرَ لوني نُهُورًا
على وطني الأخضر المُفْتَدى

ونثَّفتُ في الجوّ رِيشي، صُعُودًا
ومن شرف الفكر أن يصعَدا

تخيّلتُ.. حتّى جعلتُ العطورَ
تُرى.. ويُشَمُّ اهتزازُ الصَدى

بأعراقيَ الحُمْرِ. إمرأةٌ
تسيرُ معي في مطاوي الرِدا

تفحُّ.. وتنفخُ في أعظُمي
فتجعلَ من رئتي موقدا

هو الجنسُ أحملُ في جوهري
هَيُولاهُ من شاطئ المبتدا

بتركيب جسميَ جوعٌ يحنُّ
لآخرَ.. جوعٌ يمدُّ اليدا

أحسب أنَّكَ غيري؟ ضللتَ
فإنَّ لنا العنصرَ الأوحدا

جمالُكَ منّي.. فلولاي لم تكُ
شيئًا.. ولولايَ لن تُوجَدا

ولولايَ ما انفتحتْ وردةٌ
ولا فَقَع الثديُ أو عربدا

صنعتُكَ من أضلعي لا تكنْ
جحودًا لصُنْعي ولا مُلْحِدًا

أضاعكَ قلبي، ولمّا وجدتُكَ
يومًا بدربي.. وجدتُ الهدى

عزفتُ، ولم أطلبِ النجمَ بيتًا
ولا كان حُلْميَ أن أخلُدا

إذا قيلَ عنّي «أُحسُّ» كفاني
ولا أطلبُ «الشاعرَ الجيّدا»

شعرتُ «بشيءٍ» فكوَّنتُ «شيئًا»
بعفويةٍ، دون أن أقصُدا

فيا قارئي.. يا رفيقَ الطريقِ
أنا الشفتانِ.. وأنتَ الصدَى

سألتُكَ بالله.. كُنْ ناعمًا
إذا ما ضممتَ حروفي غدا..

تذكّرْ.. وأنت تمرُّ عليها
عذابَ الحرُوف.. لكي تُوجَدا..

سأرتاحُ.. لم يكُ معنى وجودي
فُضولًا.. ولا كان عمري سُدَى

فما ماتَ مَنْ في الزمان
أحبَّ.. ولا ماتَ مَنْ غَرّدا

قالَت لي السَّمراء، 1944

أغتصِب العالَمَ بالكلِمات

أَغْتَصِبُ العالمَ بالكَلِمَاتْ...
أغتصِبُ اللغةَ الأُمَّ...
النَحْوَ... الصَرْفَ... الأَفعَالَ... الأسْمَاءْ
أجْتَاحُ بكارات الأشياءْ
وأُشكِّلُ لغةً أُخرى...
فيها سِرُّ النارِ، وسِرُّ الماءْ
وأُضيءُ الزَمَنَ الآتي...
أُوقِفُ في عينيْكِ الوقْتَ...
وأمحو الخَطَّ الفاصلَ بين اللحظة والسَّنَواتْ...

أشهدُ أن لا امرأةً إلّا أنتِ، 1979

ثقافة

لأنَّني أُحِبُّكِ...
أريدُ أن تكُوني
الحرفَ التاسعَ والعشرينْ
من أبْجَديَّتي...

لا غالبَ إلّا الحُبّ، 1990

كُتَّابٌ بِلا أَصابِعْ...

شُكْرًا... لِمَنْ يَقرؤُنا
على امتِدادِ هذهِ الخريطةِ الرَمْليَّهْ
شُكْرًا... لِمَنْ يقْرَؤنا
في الغُرَفِ السِرّيّهْ
فنحنُ كُتَّابٌ بلا أَصابِع
وأَنبياءٌ دُونَ أَبْجَديَّهْ...

تزوّجتُكِ... أيَّتُها الحُريَّة، 1988

إلَّا الكَلِمَهْ...

ليسَ هنالكَ حَلٌّ آخَرُ،
إلَّا الكَلِمَهْ...
ليسَ هنالكَ ثَدْيٌ آخرُ قد أَرْضَعَني
إلَّا الكَلِمَهْ...
ليسَ هنالكَ وَطَنٌ آخرُ قد آواني
إلَّا الكَلِمَهْ...
ليسَ هنالكَ في تاريخي... امرأةٌ أُخرى
إلَّا الكَلِمَهْ...

تزوّجتُكِ... أيَّتُها الحُريَّة، 1988

إلى وِشاحٍ أحمر

سألتُكِ، كيف جمعتِ الجراحْ؟
فجاءتْ وشاحْ
يُعربدُ... قنديلَ نارٍ ووهجٍ..
بكفِّ الرياحْ
ويطفو.. ويرسو.. وقد يستريحُ
ببعضِ النواحْ
على أيِّ وجهٍ يرفُّ.. وينهارُ
أيِّ صباحْ؟
إذا التمحَ النهدَ.. ثارَ.. وحارَ
وهزَّ الجناحْ
وحَطَّ على مقعديْ زنبقٍ
وعُشَّيْ صُداحْ
ليجمعَ زهرًا.. ويقطفَ فُلًّا
ويَجني أقاحْ
وعند الجدائل يحصدُ ظلًا
وعطرًا مباحْ

* * *

أُبيحُ شبابي.. لنهر لهيبٍ
تلوّى.. وراحْ
إلى أينَ؟ من صحَّتي تطعِمينَ

عروقَ الوشاحْ..

طفولة نهد، 1948

رِسَالَةُ حُبّ رقم 1

أريد أن أكتبَ لكِ كلامًا
لا يُشبه الكلامْ
وأخترع لغةً لكِ وحدكِ
أفصّلها على مقاييس جسدكِ
ومساحةِ حبّي.

* * *

أريدُ أن أسافرَ من أوراق القاموس
وأطلبَ إجازةً من فمي.
فلقد تعبتُ من استدارة فمي
أريدُ فمًا آخر...
يستطيع أن يتحوّل متى أرادْ
إلى شجرة كَرَز
أو علبة كبريت
أريد فمًا جديدًا
تخرج منه الكلماتْ
كما تخرج الحوريّات من زَبَد البحر
وكما تخرج الصيصَانُ البيضاء
من قبَّعة الساحر...

* * *

خُذوا جميعَ الكتب

التي قرأتُها في طفولتي
خُذُوا جميعَ كراريسي المدرسيَّة
خذوا الطباشيرَ...
والأقلامَ...
والألواحَ السوداءْ...
وعلّموني كلمةً جديدة
أُعلّقها كالحَلَقْ
في أُذُن حبيبتي

* * *

أريدُ أصابعَ أخرى...
لأكتبَ بطريقةٍ أخرى
فأنا أكرهُ الأصابع التي لا تطول... ولا تقصر
كما أكرهُ الأشجار التي لا تموت... ولا تكبر
أريد أصابعَ جديدة...
عاليةً كصواري المراكبْ
وطويلةٌ، كأعناق الزرافاتْ
حتّى أفصّل لحبيبتي
قميصًا من الشِعرْ...
لم تلبسه قبلي.
أريدُ أن أصنع لكِ أبجديّة
غيرَ كلّ الأبجديّاتْ.
فيها شيءٌ من إيقاع المطرْ
وشيءٌ من غبار القمرْ
وشيءٌ من حزن الغيوم الرماديّة
وشيءٌ من توجّع أوراق الصفصاف
تحت عَرَبات أيلول.

* * *

أريد أن أهديكِ كنوزًا من الكلماتْ
لم تُهْدَ لامرأةٍ قبلك...

ولنْ تُهْدَى لامرأةٍ بعدك.
يا امرأةً...
ليس قَبْلَها قَبْلْ
وليس بَعْدَها بَعْدْ

* * *

أريدُ أن أعلِّم نهديْكِ الكسولينْ
كيف يُهجِّيان اسمي...
وكيف يقرأان مكاتيبي
أريدُ... أن أجعلكِ اللغة...

مِئَة رسالة حُبّ، 1970

لِمَاذا؟

لماذا تخلَّيتَ عنّي؟
إذا كنتَ تعرف أنِّي
أُحبُّكَ أكثرَ منِّي
لماذا؟

* * *

لماذا... بِعَيْنَيكَ هذا الوُجُومْ
وأمسِ بحُضنِ الكُرُومْ
فَرَطتَ أُلوفَ النجومْ
بدَرْبي
وأخبرتَني أنَّ حُبِّي يَدُومْ..
لماذا؟

* * *

لماذا تُغرِّرُ قلبي الصَبِيْ
لماذا كذبتَ عليْ
وقلتَ تعودُ إليْ
مع الأخْضَرِ الطالعِ
مع الموسم الراجعِ
مع الحقل والزارعِ
لماذا؟

* * *

لماذا؟ مَنَحْتَ لقلبي الهواءْ
فلمَّا أضاءْ
بِحُبٍّ كعَرْضِ السَمَاءْ
ذهبتَ بركب المساءْ
وخَلَّفتَ هذي الصديقَهْ
هُنا.. عند سور الحديقَهْ
على مقعدٍ من بُكاءْ
لماذا؟

* * *

لماذا.. تعودُ السُنُونو إلى سَقْفِنا
وينمو البنفسجُ في حَوْضِنا
وتُرقَصُ في الضَيْعة الميْجَنا
وتضحكُ كلُّ الدُنَا
مع الصيف، إلّا أنا..
لماذا؟؟

قصائِد، 1956

أكبَر منْ كُلِّ الكَلِمَات

سيّدتي! عندي في الدفتَرْ
ترقصُ آلافُ الكلماتِ
واحدةٌ في ثوبٍ أصفَرْ
واحدةٌ في ثوبٍ أحمَرْ
يحرقُ أطرافَ الصفحاتِ
أنا لستُ وحيدًا في الدنيا
عائلتي... حُزْمةُ أبياتِ
أنا شاعرُ حُبٍّ جَوَّالٌ
تعرفُهُ كُلُّ الشُرُفاتِ
تعرفهُ كُلُّ الحُلْوَاتِ
عندي للحبِّ تعابيرٌ
ما مرَّتْ في بال دواةِ

* * *

الشمسُ فتحتُ نوافذَها
وتركتُ هنالكَ مرساتي
وقطعتُ بحارًا... وبحارًا
أنبشُ أعماقَ الموجاتِ
أبحثُ في جوف الصَدَفاتِ
عن حرفٍ كالقمر الأخضرْ

أُهديهِ لعينيْ مولاتي

* * *

سيِّدتي! في هذا الدفتَرْ
تجدينَ ألوفَ الكلماتِ
الأبيضَ منها... والأحمَرْ
الأزرقَ منها... والأصفَرْ
لكنَّكِ... يا قمري الأخضَرْ
أحلى من كلِّ الكلماتِ
أكبرُ من كُلِّ الكلماتِ...

حَبيبَتي، 1961

وَشْوَشَة

في ثغرها ابتهالْ
يهمُسُ لي: تعالْ

إلى انعتاقٍ أزرق
حدودُهُ المُحالْ

نشردُ تيّاريْ شذا
لم يخفقا ببالْ

لا تستحي.. فالوردُ في
طريقنا تلالْ

ما دمتِ لي.. مالي وما
قيلَ، وما يُقالْ..

* * *

وشوشةٌ كريمةٌ
سخيّةُ الظلالْ

ورغبةٌ مبحوحةٌ
أرى لها خيالْ

على فمٍ يجوعُ في

عروقه السؤالْ..

يهتفُ بي عقيقُهُ
غدًا لكَ النوالْ

* * *

أنا كما وشْوَشْتِني
ملقًى على الجبالْ

مخدّتي طافيةٌ
على دم الزوالْ

زَرَعتُ ألفَ وردةٍ
فدى انفلاتِ شالْ

فدى قميصٍ أخضرٍ
يوزّع الغِلالْ..

قومي إلى أرجوحةٍ
غريقةِ الحِبالْ

نأكلُ من كرومنا
ونطعمُ السِلالْ

وأشربُ الفمَ الصغيرَ
سُكّرًا حلالْ

إنْ ألثمَ اليمينَ منكِ
قلتِ: والشمالْ

لا تسألي: تُحبُّني؟
كنتُ. ولا أزالْ

طفولة نهد، 1948

الضَّفائر السُّود

«رآها تتسرّح مرة وتنثر الليل على كتفيها...»

يا شَعْرَها... على يدي
شلّالَ ضوءٍ أسودِ...

أَلمُّهُ... أَلمُّهُ
سنابلًا، لم تُحْصَدِ...

لا تربطيهِ... واجعلي
على المساءِ مقعدي...

من عُمرنا، على مخدّاتِ
الشذا. لم نرقُدِ...

* * *

وحَرَّرتْهُ... من شريطٍ
أصفرٍ... مغرّدِ

واستغرقتْ أصابعي
في ملعبٍ... حرٍّ... ندي

وَفرَّ... نَهْرُ عُتْمةٍ
على الرخام الأجْعَدِ...

تُقلُّني أرجوحةٌ سوداءُ
حيرى المقصدِ

تُوزّعُ الليلَ على
صباحِ جيدٍ أجْيَدِ

هناكَ. طاشتْ خُصْلةٌ
كثيرةُ التمرّدِ

تُسِرُّ لي... أشواقَ صدرٍ
أهوجِ التنهُّدِ

ونَبْضةَ النهد الصغيرِ
الصاعِدِ... المغرِّدِ

تستقطِرُ النبيذَ مِنْ
لون فمٍ لم يُعْقَدِ

وتَرضَعُ الضياءَ من
نهدٍ صبيِّ المولِدِ

* * *

قد نلتقي في نجمةٍ
زرقاءَ... لا تستبعدي

تصوَّري... ماذا يكون العمرُ
لو لم تُوجَدي!

طفولة نهد، 1948

حَلَمة...

تـهَزْهَزي... وتُوري
يا خُصْلةَ الحريرِ
يا مَبْسمِ العصفور... يا
أرجوحةَ العبيرِ...
يا حرفَ نارٍ... سابحًا
في بِرْكتيْ عطورِ
يا كِلْمةً مهموسةً
مكتوبةً بنورِ...
سمراءُ... بل حمراءُ... بل
لوَّنها شعوري
دُمَيْعةٌ حافيةٌ
في ملعبٍ غميرِ...
أم قُبْلةٌ تجمَّدتْ
في نهدكِ الصغيرِ
وارتسمتْ شرارةً
مخيفةَ الهديرِ...
مظلّةٌ شقراءُ... فوقَ
قسوةِ الهجيرِ...
ملمومةٌ... مضمومةٌ
فضيّةُ السريرِ...

إبريقُ وهجٍ... عالقٌ
بهضْبَتيْ سرورِ
أم أنتِ شُبّاكُ هوى
مطرّزُ السُتُورِ...
مزروعةٌ قلعَ دمٍ
ملوّنَ المرورِ...
فراشةٌ... مغطوطة
الجناح في غديرِ...
ونجمةٌ مكسورةُ الريشِ
على الصخورِ...
دافئةٌ... كأنّها
مرّتْ على ضميري

* * *

يا حَبّةَ الرُّمّان... جُنّي
والعبي... ودُوري.
ومزّقي الحريرَ... يا
حبيبةَ الحريرِ...

طفولة نهد، 1948

إسمُهَا

هناكَ.. بعضُ أحرُفِ
تصحبُني كمُصْحفي..

أهذه جُنَيْنَةٌ؟
تورِقُ تحتَ معطفي

في الضُّحى.. وفي الدُجى
وفي الأصابيحِ.. وفي..

ما صَيْحةُ العُصفور.. ما
تنهُّداتُ المِعْزَفِ...

يا سَحْبةً من نَغَمٍ
تومضُ ثمّ تختفي

يمرُّ، نيسانًا، على
شوقي.. على تلهُّفي

ويلتوي سلكَ حريرٍ
بارعَ التعطُّفِ

ينقلني من رفرفٍ

مُخْضَوضِرٍ... لرَفْرَفِ...

أنا الذي يعومُ في
جُرح هوًى لم يَنشفِ

* * *

إسمُكِ.. لا.. عَفْوَكِ
أنتِ فوقَ أن تُعرَّفي..

طفولة نهد، 1948

تَطْريز

مِنْ نَـهَوَنْدٍ.. أم رَجَزْ
أم مِنْ جِراحاتِ الكَرَزْ؟

مِنِ انْـهِدالِ المُخْمَلِ
وعِزَّةِ التَخَيُّلِ

كُنْتِ.. وقالَ اللهُ لي:
أَدْمَيْتُ فيها مِعْوَلي..

مِنْ شاطئٍ مُزَرْكَشِ
أَمْ مِنْ حفيفِ الرِيَشِ

ومِنْ جبينِ عُودْ
وزُرْقَةِ الوُعُودْ

وغُنَّةِ المَطَارقِ
ومَرْمَرٍ مُرَاهِقِ

هَوَّمْتِ شالًا أزرَقَا
يَرُشُّ عُمْري رَوْنَقا

ونَاهِدًا يَدُورْ

نَوْلًا مِنَ الحريرْ

أَمْ أنتِ عُنْقُودُ فِكَرْ
أَلْقَاهُ شُبَّاكُ القَمَرْ

فَوَشَّحَ الهِضابا
وكانتِ (العَتَّابَا)

والريحُ والغُصُونُ
والضوءُ والسنُونُو

وكانَ... في الأرض السَنَا
وكنتُ – مِنْ بَعْدُ – أنا...

أنتِ لي، 1950

ضحكَة

وَصَاحِبَتي إذا ضَحِكَتْ
يسيلُ الليلُ مُوسِيقا

تُطَوِّقُني بساقيةٍ
من النَهَوَنْدِ تَطْويقَا

فَأَشربُ من قرار الرَصْدِ
إبريقًا فإبريقا

تَفَنَّنُ حينَ تُطْلِقُها
كحُقِّ الورد تَنْسِيقا

وتُشْبِعُها – قُبَيْلَ البَثِّ –
تَرْخِيمًا وتَرْقِيقا..

أناملُ صوتِكِ الزَرقَاءُ
تُمْعِنُ فيَّ تَمزيقا

أيا ذاتَ الفَمِ الذَهَبيّ
رُشِّي الليلَ مُوسِيقَا..

أنتِ لي، 1950

ثوبُ النَوْمِ الوَرديّ

أَغْوَى فساتينكِ.. هذي البُرْدةُ المُطيَّبَهْ
ذاتُ التطاريزِ.. وذاتُ الطُرَّةِ المُقَصَّبَهْ
والذَيْلِ.. والرُسُومِ.. والزرْكَشَةِ، المُحبَّبَهْ
إذْ أنتِ زَهْوُ غرفتي البَشُوشَةِ المُرَحِّبَهْ
تُجَرِّرينَ الراهلَ الطويلَ.. نَشْوَى مُعْجَبَهْ
والأحْمَرُ الرعَّادُ.. أشْهَى من وُرُود المأدُبَهْ

* * *

أجْمَلُ ما لبستِ من غلائل مُعْشَوْشِبَهْ
مَنَامَةٌ.. رَفُّ الحواكيرِ، وبَوْحُ المسْكَبَهْ
أنا حَبيسُ عُرْوَةٍ هناكَ.. كَسْلَى مُتْعَبَهْ
لا تَقْلَعيها.. إنَّها غوايتي المُحَبَّبَهْ...

أنتِ لي، 1950

أَنَـامِل

لَمَحْتُها.. إذْ نَسَلَتْ
قُفَّازَها المُعطَّرا

وأوقَدَتْ شُمُوعَها الخَمْسَ
وقالتْ: هل تَرَى؟

أرْشَقَ مِنْ أصابِعي
فيما رأيتَ مَنْظَرا

أُنْظُرْ يَدِي.. وانْفَلَتَ
الحريرُ فوقي أَنْهُرا

معي يَدٌ جميلةٌ
تَغْزِلُ شَمْعًا أصفرا

يدٌ غديرُ فِضَّةٍ
من النُجُوم قُطِّرا..

أنْهَارُ مَاسٍ خَمْسَةٌ
تَرْشُقُ دربي جوهرا

أناملُ.. كأضْلُع البِيَانِ

سالَتْ مَرْمَرا

مَرْصوفةٌ، ترجو بَنَانَ
عازفٍ لِتَجْهَرا

في النورِ خَاتم الهَوَى
غَفَا.. شِراعًا أشقرا

حَطَّ على إصْبَعِها
مُغَنِّيًا مُسْتَبْشِرا

* * *

أرجُوكِ.. رُدِّي مِخْلَبًا
عنِّي.. غميسًا أحمرا..

أخافُ إنْ جُنَّ الهَوَى
أنْ تُشْهِريهِ خِنْجَرا..

أنتِ لي، 1950

مَعَ جَريدة

أخْرَجَ من مِعْطَفِهِ الجريدَهْ..
وعُلْبَةَ الثِقابِ
ودُونَ أن يلاحِظَ اضطرابي
ودُونَما اهتمامِ
تَنَاوَلَ السُكَّرَ من أمامي
ذوَّبَ في الفنجان قِطْعَتَيْنْ
ذوَّبني..
ذوَّبَ قِطْعَتَيْنْ
وبعد لَحظتَيْنْ
ودونَ أن يراني
ويعرفَ الشوقَ الذي اعْتَراني
تناولَ المِعْطَفَ من أمامي
وغابَ في الزّحامِ
مُخَلِّفًا وراءَهُ الجريدَهْ
وحيدةً.. مثلي أنا وحيدَهْ..

قصائِد، 1956

عيْدُ ميلادِهَا

بِطاقَةٌ من يَدِها
تَرْتَعِدُ
تُفدى اليدُ
تَقُولُ: عيدي الأحَدُ
ما عُمْرُها؟
لو قلتُ، غَنَّى في جبيني العَدَدُ
إحدى ثَوانيهِ إذا
أعْطَتْ، عُصُورًا تَلِدُ
وبُرْهَةٌ من عُمْرها
يكمُنُ فيها.. أبَدُ

* * *

تُرى
إذا جاءَ غَدُ
وانْشَالَ تُولٌ أسْوَدُ
وانْدَفَعَتْ حوامِلُ الزَهْر..
وطابَ المشهدُ
وَرْدٌ.. وحَلْوى.. وأنا
يأكُلُني التَرَدُّدُ
بأيّ شيءٍ أَفِدُ
إذا يَهُلُّ الأحَدُ

بخاتَمٍ؟
بباقةٍ؟
هيهات. لا أُقلِّدُ

* * *

أليسَ من يَدُلُّني؟
كيفَ.. وماذا أقتني؟
ليومها المُلَحَّنِ
أَحُزْمَةٌ من سَوْسَنِ؟
أنَجْمَةٌ مُقيمةٌ في موطني؟
أُهدي لها
اللَّه.. ما أقلَّها..
مَنْ ينتقي؟
لي مِن كُرُومِ المَشْرِقِ
مِنْ قَمَرٍ مُحترقِ
حُقًّا غريبَ العَبَقِ
آنيةً مَسْحُورَةً
خالقُها لم يُخْلَقِ
أحملُها
غدًا لها
اللَّه.. ما أقلَّها

* * *

لو بيديَّ الفَرْقَدُ
والدُرُّ والزُمُرُّدُ
فَصَّلتُها جميعَها
رافِعَةً لنَهْدِها
وَمَحْبَسًا لزندها
هديّةً صغيرةً
تحملُ نفسي كُلَّها
لَعَلَّها

إذا أنا حَمَلْتُها
غدًا لها
سَتَسْعَدُ
يا مُرْتجَى.. يا أَحَدُ..

قصائِد، 1956

عِنْدنَا

يُولَدُ المَوَّالُ حُرًّا
عندنا بين الضِياعِ

من جبين الزارعِ الشَيْخِ
وأنفاس المراعي

من وُجاق النار.. مِنْ
جذْعٍ عتيقٍ مُتَداعي

مِنْ خَوابينا الطفيحاتِ
ومِنْ كَرْمٍ مُشاعِ

كُلُّ سَقْفٍ عندنا
يَرْشَحُ رَصْدًا.. كُلُّ راعي

والمَواويلُ لَدَيْنا
وُجِدَتْ قَبْلَ السَمَاعِ

حَبَكَتْ أَنْوالُنا
أوَّلَ خَيْطٍ في شِراعِ

لَفْتَةُ العُنْقِ لَدَيْنا

لَفْتَةُ السيفِ الشُجاعِ

وبلادي، شُرْفَةُ الصَحْوِ
ومِيناءُ الشُعاعِ..

مَوْطِني، من زُرْقة الحُلْمِ
ومِنْ عَزْمِ القِلاعِ..

قصائِد، 1956

رسَائِل لم تُكْتَبْ لَها..

1

مَزّقيها..
كُتُبي الفارغَةَ الجَوْفاءَ إنْ تَسْتَلِميها..
والْعَنِيني.. والْعَنِيها
كاذبًا كنتُ. وحُبّي لكِ دعْوى أَدَّعيها
إنَّني أكتُبُ للّهوِ.. فلا تعتقدي ما جاءَ فيها
فأنا – كاتبَها المَهْوُوسَ – لا أذكرُهُ
ما جاءَ فيها..

2

إقْذِفيها..
إقْذِفي تلكَ الرسالاتِ.. بِسَلِّ المُهْمَلاتِ
واحْذَري..
أنْ تَقَعي في الشَرَكِ المخْبُوءِ بين الكَلِماتِ
فأنا نفسيَ لا أُدركُ معنى كَلِماتي
فِكَري تَغْلي..
ولا بُدَّ لطُوفان ظُنُوني مِنْ قناةِ
أَرْسُمُ الحرفَ
كما يمشي مريضٌ في سُبَاتِ
فإذا سَوَّدتُ في الليلِ تِلالَ الصَفَحاتِ

فلأَنَّ الحرفَ، هذا الحرفَ..
جزءٌ من حياتي
ولأنّي رِحْلَةٌ سَوْدَاءُ.. في موجِ الدَوَاةِ

3

أَتْلِفيها..
وادْفُني كُلَّ رسالاتي بأحشاءِ الوَقُودِ
واحْذَري أنْ تُخْطِئي..
أنْ تقرأي يومًا بريدي..
فأَنا نفسيَ لا أذكُرُ ما يحوي بريدي!..
وكتاباتي،
وأفكاري،
وزَعْمي،
وَوُعودي،
لم تكُنْ شيئًا، فحُبّي لكِ جُزْءٌ من شُرُودي
فأنا أكتُبُ كالسَكْرانِ..
لا أدري اتّجاهي وحُدُودي..
أتَلَهَّى بكِ، بالكِلْمةِ، تَمْتَصُّ وَريدي..
فحياتي كُلُّها..
شَوْقٌ إلى حرفٍ جديدِ
ووُجُودُ الحرف من أبسطِ حاجاتِ وُجُودي..
هل عرفتِ الآنَ..
ما معنى بَريدي؟

قصائِد، 1956

كَلِمات

يُسْمِعُني.. حين يُراقصُني
كَلِمَاتٍ، ليسَتْ كالكَلِماتْ

يأخُذُني من تحت ذراعي
يَزْرَعُني في إحدى الغَيْمَاتْ

والمَطَرُ الأسودُ في عَيْني
يَتَساقطُ زَخَّاتٍ.. زَخَّاتْ

يَحْمِلُني مَعَهُ.. يَحْمِلُني
لِمَساءٍ وَرْديّ الشُرُفَاتْ

وأنا كالطفلةِ في يَدِهِ
كالريشةِ تحملُها النَسَماتْ

يحملُ لي سَبْعَةَ أقمارٍ
بِيَدَيْهِ، وحُزْمَةَ أُغْنِيَّاتْ

يُهْديني شَمْسًا.. يُهْديني
صَيْفًا.. وقطيعَ سُنُونُوَّاتْ

يُخْبرني أَنَّي تُحْفَتُهُ

وأُساوي آلافَ النَجْماتْ

وبأنِّي كَنْزٌ.. وبأنِّي
أجملُ ما شاهَدَ من لَوْحاتْ

يروي أشياءَ تُدَوِّخُني
تُنْسِيني المرقصَ والخَطَواتْ

كَلِمَاتٍ.. تقلبُ تاريخي
تجعلني امرأةً في لَحَظَاتْ

يَبْني لي قَصْرًا من وَهْمٍ
لا أَسْكُنُ فيه سوى لَحَظَاتْ

وأَعودُ.. أَعودُ لطاولتي
لا شيءَ معي.. إلَّا كَلِمَاتْ...

حَبيبَتي، 1961

أُوريَانتيا

أُوريانْتِيا
صديقةٌ مِنْ آسيا
الأنفُ من شيراز
والعَيْنَانِ من قَفْقَاسِيا
والشَفَتانِ.. زَهْرَتا أَضاليا..
أُوريانْتِيا
تَكَوَّنتْ..
مِنْ رَغْوَة البحارْ
مِنْ نَكْهَة المانْغُو
منَ الأصدافِ والمَحَارْ..
مِنْ كُلِّ ما في الهندِ
من طيبٍ.. ومِنْ بَهَارْ
أُوريانْتِيا
شاحبةٌ جَمَّلتِ الشُحُوبْ
دافئَةٌ..
كالبُنِّ في مزارع الجنوبْ
تائبةٌ! مَنْ قالَ؟
جَلَّ الحُسْنُ أن يَتُوبْ

* * *

أُوريانْتِيا

نَهْدان واقِفانْ
كقُبَّتَيْ نُحاسْ
في ذَهَب المغيبْ
صَحْنانِ صينيَّانِ رائعانْ
قِلْعانِ من لهيبْ
تزوَّدا من آسيا..
بزَهْرَتَيْ غارْدِينيا..
بعنبرٍ.. بِفُلْفُلٍ.. بطيبْ..
وحَبَّتَيْ زَبيبْ..

* * *

أُورِيانْتِيا
شاحبةٌ جمَّلَتِ الشُحُوبْ
أُورِيانْتِيا
أَحَرُّ ما عرفتُ من توابل الجنوبْ..

حَبيبَتي، 1961

خِطابٌ مِن حَبيبَتي

شُكْرًا..
على خِطَابِكِ الأخيرِ
سفيرُكِ الموعودُ..
يا لرقَّةِ السفيرِ
قرأتُهُ..
لأربعينَ مرّةً.. قرأتُهُ
أَعَدْتُهُ..
لأربعينَ مرّةً.. أَعَدْتُهُ
غرقتُ في طُيُوبِهِ
بكيتُ من أُسلوبِهِ
بكيتُ كالأطفالِ في سريري
نَبَشْتُهُ، عَصَرتُهُ
عَصَرتُ كلَّ نقطةٍ..
فيهِ، إلى الجُذُورِ..

* * *

هذا خطابٌ منكِ..
ما أَخطأني شُعُوري
عَرَفْتُهُ..
من خَطَّكِ المُنَمْنَمِ الصغيرِ
من حِبْرِكِ الأخضرِ..

من أُسْلُوبكِ الأميرِ..
من رَشَّةِ النقاطِ في أواخرِ السُطُورِ
من اسْمِكِ النائمِ عُنْقُودًا من العبيرِ
في آخِرِ الصفحةِ.. عُنْقُودًا من العبيرِ..

* * *

عندي خطابٌ منكِ..
يا للنَبَأ المُثيرِ..
داختْ به وسائدي
داختْ بهِ سُتُوري
أوَدُّ لو قرأتُهُ..
للنهرِ، للنجمةِ، للغديرِ..
للريحِ، للغاباتِ، للطُيُورِ
أوَدُّ لو نَقشتُهُ في أضلُعِ الصخُورِ

* * *

ثلاثُ صَفْحَاتٍ مُنمَّقاتٍ
كأنَّها مدارجُ الزُهورِ..
تصحو معي..
تغفُو معي..
تنامُ في ضميري..
ثلاثُ صَفْحَاتٍ معطَّراتٍ
كأنَّها وسائدُ الحريرِ..
ما أروعَ النَومَ على الحريرِ..

* * *

عندي خطابٌ أزرقٌ
ما مرَّ في ذاكرة البُحُورِ
عندي أنا لؤلؤةٌ..
أينَ غُرورُ اللهِ من غُروري؟

حَبيبَتي، 1961

أحْلَى خَبَر

كتبتُ (أُحبُّكِ) فوقَ جدار القَمَرْ
(أُحبُّكِ جدًّا)
كما لا أَحَبَّكِ يومًا بشَرْ
ألمْ تقرأيها؟
بخطِّ يدي
فوق سُور القَمَرْ
وفوق كراسي الحديقةِ...
فوقَ جذوع الشَجَرْ
وفوق السنابلِ
فوق الجداولِ
فوقَ الثَمَرْ...
وفوق الكواكب تمسحُ عنها
غُبارَ السَفَرْ...

* * *

حفرتُ (أُحبُّكِ) فوق عقيق السَحَرْ
حفرتُ حدودَ السماءِ
حفرتُ القَدَرْ...
ألم تُبْصريها؟
على وَرَقات الزهَرْ
على الجسر، والنهر، والمُنحدرْ

على صَدَفاتِ البحارِ
على قَطَراتِ المطرْ
ألم تَلْمحيها؟
على كلِّ غصنٍ
وكلِّ حصاةٍ، وكلِّ حجرْ

* * *

كتبتُ على دفتر الشمس
أحلى خبرْ...
(أُحبُّكِ جدًّا)
فليتكِ كنتِ قرأتِ الخبرْ

الرسْمُ بالكَلِمات، 1966

القصيدَة البحْريّة

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
أمطارٌ من ضوءٍ مسموعْ

وشموسٌ دائخةٌ... وقُلوعْ
ترسمُ رِحلتَها للمُطْلَقْ

* * *

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
شُبَّاكٌ بحريٌّ مفتوحْ

وطيورٌ في الأبعاد تلوحْ
تبحثُ عن جُزُرٍ لم تُخْلَقْ...

* * *

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
يتساقط ثلجٌ في تمّوزْ

ومراكبُ حبلى بالفيروزْ
أغرقتِ البحرَ ولم تغرقْ

* * *

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
أركُضُ كالطفل على الصَخْرِ

أستنشقُ رائحةَ البحرِ...
وأعودُ كعصفورٍ مُرْهَقْ...

* * *

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
أحلُمُ بالبحر وبالإبحارْ

وأصيدُ ملايينَ الأقمارْ
وعقُودَ اللؤلؤ والزنبقْ

* * *

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
تتكلَّمُ في الليل الأحجارْ

في دفتر عينيكِ المُغْلَقْ
مَنْ خبّأ آلافَ الأشعارْ؟

* * *

لو أنّي... لو أنّي... بحَّارْ
لو أحدٌ يمنحني زورقْ

أرسيتُ قُلوعي كلَّ مساءْ
في مرفأ عينيكِ الأزرقْ

الرسْمُ بالكَلِمات، 1966

يَدي

أصبحتِ جُزءًا من يدي..
جُزءًا من انْسِيابِها
من جوِّها الماطر، من سحابِها..
كأنَّما في لَحْمِها
حُفِرْتِ.. في أعصابِها..

* * *

أصبحتِ جزءًا من يدي..
أراكِ في عروقها،
في غيمِها الأزرَقِ، في ضبابِها،
أراكِ في هدوئها، أراكِ في اضطرابها..
في حُزْنها، في صمتها الطويلِ، في اكتئابها،
أراكِ في الدمع الذي يقطُرُ من أهدابها
أراك يا حبيبتي، على يدي نائمةً..
كطفلةٍ نامتْ على كتابها..

* * *

أصبحتِ جزءًا من يدي..
إسمُكِ مكتوبٌ على أبوابها
وجهُكِ مرسومٌ على ترابها
تذكَّري.. كم مرَّةٍ.. لعبتِ بالثلجِ على هضابِها
وضِعْتِ كالنجمة في أعشابِها

كم مرَّةٍ.. دفَّأتِ كفَّيكِ على أحطابِها..

* * *

لا.. لستِ جزءًا من يدي، أنتِ يدي.
بشمسِها.. وبَحْرِها
وطُهْرِها.. وكُفرِها..
ونَثرِها.. وشِعْرِها..
وحبِّكِ المحفورِ، بالسكّينِ، في أعصابِها..

الرسْمُ بالكَلِمات، 1966

لو كنتِ في مَدريد..

لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السَنَهْ
كُنّا سهرنا وحدنا
في حانةٍ صغيرَهْ
ليس بها سوانَا
تبحثُ في ظلامها عن بعضها يدانا
كُنّا شربنا الخمرَ في أوعيةٍ من الذهَبْ
كُنّا اخترعنا – ربّما – جزيرَهْ..
أحجارُها من الذهبْ..
أشجارُها من الذهبْ
تُتوَّجينَ فوقها أميرَهْ..

* * *

لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السَنَهْ
كنّا رأينا.. كيف في إسبانيا
أيَتُها الصديقةُ الأثيرَهْ..
تشتعلُ الحرائقُ الكبيرَهْ
في الأعينِ الكبيرَهْ..
كيف تنامُ الوردةُ الحمراءُ في الضفيرَهْ..
كنّا عرفنا لذّةَ الضيَاعِ في الشوارعِ
وجوهُنا تحتَ المطرْ
ثيابُنا تحت المطرْ

كنّا رأينا في مغاراتِ الغَجَرْ
كيف يكونُ الهمسُ بالأصابعِ..
والبوحُ والعتابُ بالأصابعِ..
وكيف للحبِّ هنا..
طعمُ البهارِ اللاذعِ..

* * *

لو كنتِ في مدريدَ في رأس السَنَهْ..
كنّا ذهبنا آخرَ الليل إلى الكنيسَهْ
كنّا حَمَلنا شَمْعَنا وَزيتَنا..
لسيّد السلام والمحبَّهْ..
كُنّا شَكَوْنا حُزنَنا إليهِ..
كُنا أرحنا رأسنا لديهِ..
لعلَّه في السنةِ الجديدَهْ..
أيّتُها الحبيبةُ البعيدَهْ..
يجمعني إليكِ بعد غُرْبَهْ..
في منزلٍ جدرانُهُ محبَّهْ
وخبزُهُ محبَّهْ..

* * *

لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السَنَهْ
كُنّا ملأنا المَدخنَهْ
عرائسًا ملوَّنهْ..
لطفلةٍ دافئةِ العيونْ..
نعيشُ يا حبيبتي بوَهْمِها..
من قبلِ أن تكونْ..
نبحث يا حبيبتي عن اسمها
من قبلِ أن تكونْ..
كنّا صنعنا تَخْتَها الصغيرَ من ظنونْ
تختًا من الأحلام والقطيفةِ الملوَّنَهْ
تنامُ فيه – ربّما – بعدَ سنَهْ..

لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السَنَهْ..

الرسْمُ بالكَلِمات، 1966

أوراق إسبانية

الجسر

إسبانيا..
جسرٌ من البكاءْ..
يمتدُّ بين الأرضِ والسماءْ..

سوناتا

على صدر قيثارةٍ باكيَهْ
تموتُ..
وتولدُ إسبانيَهْ..

الفارسُ والوردة

إسبانيا..
مراوحٌ هفهافةٌ
تمشِّطُ الهواءْ..
وأعينٌ سوداءُ..
لا بدءٌ لها.. ولا انتهاءْ
قُبَّعةٌ تُرمى أمام شرفة الحبيبَهْ..
ووردةٌ رطيبَهْ..
تطيرُ من مقصورة النساءْ
تحملُ في أوراقها الصلاةَ والدعاءْ

لفارسٍ من الجنوب.. أحمرِ الرداءْ
يداعبُ الفناءْ..
وكلُّ ما يملكهُ..
سيفُ.. وكبرياءْ..

(...)

دونيا ماريا

تُمزِّقني.. دونيا ماريَهْ
بعَيْنَيْنِ أوسعَ من باديَهْ
ووجه عليه شموسُ بلادي
وروعةُ آفاقها الصاحيَهْ..
فأذكرُ منزلنا في دمشقَ
وَلثْغةَ بِرْكته الصافيَهْ
ورقْصَ الظلال بقاعاتِهِ
وأشجارَ ليمونهِ العاليَهْ
وبابًا قديمًا.. نقشتُ عليه
بخطٍّ رديءٍ.. حِكاياتيَهْ
بعينيكِ.. يا دونيا ماريَهْ
أرى وطني مرَّةً ثانيَهْ...

(...)

نزيفُ الأنبياء..

كُوريدَا.. كُوريدَا..
ويندفعُ الثورُ نحو الرداءْ
قويًّا.. عنيدا..
ويسقُطُ في ساحةِ الملعبِ..
كأيِّ شهيدٍ..
كأيِّ نبي..

ولا يتخلَّى عن الكبرياءْ..

بقايا العرب

فْلامنكُو..
فْلامنكُو..
وتستيقظُ الحانةُ الغافيَهْ
على قهقهاتِ صنوج الخشَبْ
وبحَّةِ صوتٍ حزينِ..
يسيلُ كنافورةٍ من ذهبْ
وأجلسُ في زاويَهْ
ألُمُّ دموعي..
ألُمُّ بقايا العربْ...

1966
الأَعمال الشِّعريَة الكاملة، مجلّد رقم 1

سَامْبَا

غَطَّ قوسَهْ
في شرايين الشَفَقْ
خشبُ القوس احترقْ
حين مسَّهْ

* * *

وأشارا
فَعَلى ضِلْع الكَمَنْجَا
وَتَرٌ يسفَحُ وَهْجَا
وشرارا..

* * *

أيُّ رَقْصَهْ
ثَرَّةِ الغُنْجُ، جَريئهْ
رضعَتْ ثديَ الخطيئَهْ
فهي قِصَّهْ..

* * *

بالجوارِحْ
أذرعٌ.. سُمْرٌ.. وبيضْ
هزَّها الدفءُ النبيضْ

كمراوحْ

* * *

للمآزِرْ
حينما تنشالُ بَحَّهْ
إنَّ للمُخْمَلِ صَيْحَهْ..
في الخواصِرْ

* * *

النساءْ
بَحْرُ طيبٍ وجواهِرْ
غرقَ البهوُ حرائرْ
وثراءْ

* * *

والجدائِلْ
مثلُ باقاتِ السنابلْ
والفساتينُ مشَاتِلْ
والغلائِلْ

* * *

أيُّ مِغْزَلْ؟
حاكَ أَكتافًا عرايا
هيَ في الليل مرايا..
تتنقّلْ

* * *

للصُنوجْ
قهقهاتٌ عَصَبيَّهْ
فارسٌ ضَمَّ صبيَّهْ
في مريجْ

* * *

والطبولْ
تحفر الأعصابَ حَفْرا
وتُحيلُ الشَّوْقَ جَمْرا
والميولْ

* * *

الصبايا
ساحباتٌ نَهْرَ «ثُولْ»..
والصباباتُ تجولْ..
في الزوايا

* * *

ذاك قدٌّ..
كهضابي، كبرياءَ
يغمُرُ الأرضَ عطاءَ..
حينَ يعدو

* * *

وطَويلَهْ
مثلما ينهضُ سيْفُ..
عُرْيُها.. نصفٌ.. ونصفُ
كالخميلَهْ..

* * *

النَدامَى
نفروا سِرْبًا.. فسِرْبا
ما وَنَوْا.. دَفْعًا.. وجَذْبا
والْتِحَاما..

* * *

والغَواني
كالفَراشاتِ.. سِبَاقْ
مُزِجتْ.. ساقٌ.. وساقْ

وفَمَانِ..

* * *

يا لرَنَّهْ
زلزلتْ أوْساطَهُنَّهْ
فالزنانيرُ.. مرِنَّهْ
حَوْلَهُنَّهْ

* * *

أيُّ نَغْمَهْ
أغرقتْ بالدَّمِ حَلْمَهْ..
فارتوتْ من كلِّ ضَمَّهْ..
ألفُ قِمَّهْ..

* * *

في جِواري
ناهِدٌ شبعانُ.. عِزَّا
يجرحُ النجمةَ هزَّا..
والدراري

* * *

حَلْمتانِ..
كاندفاعِ الهَوْدَجِ
فوقَ حُقَّيْ أَرَجِ..
تطفرانِ..

* * *

تلكَ غادهْ
مثلَ ثعبانٍ تلوَّى
وهْو يطويها فتُطوى
كوِسادَهْ..

* * *

ووسيمِ..
شَكَّ في العُرْوَةِ ورْدَهْ
رفَّ، في أنْفسِ بُرْدَهْ
كالنسيمِ

* * *

حينَ أومَا
مَثَلتْ بينَ يديْهِ
رأسُها في رئتيهِ
راح يُغمى..

* * *

بانفعالِ
نَهَدتْ كالمُسْتَفَزَّهْ
مثلما، تنشَكُّ.. أرْزَهْ
في جبالي..

* * *

وبِشِدَّهْ
لَفَّها.. وانعتَقَا..
ليتَ هذا العُنُقا
لي مخدَّهْ..

* * *

خلتُ لمَّا
سلَّمَتْهُ الوَسَطا
كَبِدَيْنِ.. اختلطا
حينَ ضُمَّا..

* * *

في ضُلُوعِهْ
غرَّزتْ.. سكِّينَ فِضَّهْ..
نبضُها، أصبحَ نَبْضَهْ

من وُلوعِهْ

* * *

مِنْ يمينِهْ
تَخِذَتْ زُنَّارَها
وأراقتْ نارَها
في جُفونِهْ

* * *

لا مفَرُّ
ليسَ تستطيعُ خُلُوصَا
أكَلَ النهدُ القميصَا..
فهْوَ جَمْرُ..

* * *

قلتُ ذابا
مَفصلًا في لصْقِ مفصَلْ
وعظامًا تتغلغلْ..
وثيابا..

* * *

مَنْ رآها..
وهْيَ في قبْضةِ نَسْرِ..
خصرُها.. أنقاضُ خصْرِ.
وقواها..

* * *

ألفُ آهَهْ..
تتندَّى.. ألفُ خلجَهْ
مهجةٌ تمتصُّ مُهْجَهْ
بشراهَهْ..

* * *

يا لَنَهْدِ
نزِقِ المنقارِ.. أبيضْ
مثلَ عصفورٍ.. تَنفَّضْ
بينَ وردِ..

* * *

تلكَ سامبَا..
نَقْلَةٌ.. ثمَّ.. انحناءَهْ
فالمصابيحُ المُضَاءَهْ
تتصبَّى..

* * *

جرّبيها..
خطواتٍ أربَعَا..
أبدًا.. تمضي معا..
وتَليها..

* * *

شِبْهُ غَفْوَهْ
فيميلُ الراقصانِ
وتغيبُ الشفتانِ
عَبْرَ نَشْوَهْ

* * *

دَمْدِميها..
أنتِ.. هذي الأُغْنِيَهْ..
بدماء المعصيَهْ
كتَبُوها

* * *

وسَقَوْها
من أريجِ الأوديَهْ..
وشُحُوبِ الأُمسيَهْ

ما سَقَوْها..

* * *

دَمْدِمي لي..
بفمٍ.. حَبَّةِ لَوْزِ
أنا من سُكْرٍ.. وهَزّ
كالقتيلِ..

* * *

ما علينَا؟
إنْ رقَصْناها معَا..
ودَفنَّا الأضلُعَا
وانطفَيْنَا

* * *

واختَفَيْنَا
أنتِ.. في قرميدِ نجْمَهْ.
وأنا.. في قُطنِ غَيْمَهْ..
ما عَلَينا؟

* * *

لو رَقَصنا..
لَيلَنا.. حتّى التلاشي
وحُمِلْنَا
كجنازاتِ الفَرَاشِ..

سامبا، 1949

بالأحمَر فقَط...

في كُلِّ مكانٍ في الدفتَرْ
إسمُكِ مكتوبٌ بالأحمَرْ
حُبُّكِ تلميذٌ شَيْطانٌ
يتسلَّى بالقَلَمِ الأحمَرْ
يرسُمُ أسماكًا من ذَهَبٍ
ونساءً من قَصَبِ السُكَّرْ
وهُنُودًا حُمْرًا... وقطارًا
ويحرّكُ آلافَ العسكَرْ
يرسُمُ... طاحونًا، وحصانًا
يرسُمُ طَاووسًا يَتَبَخْترْ...
وامرأةً يرسمُ... عاريةً
ولها ثَدْيَانِ... من المرمَرْ
يرسُمُ عُصْفُورًا من نارٍ
مشتعِلَ الريش... ولا يحذَرْ
وقواربَ صيدٍ، وطُيُورًا
وغُرُوبًا وَرْدِيَّ المئزَرْ
يرسُمُ بالوَرْدِ وبالياقوتِ
ويتركُ جُرْحًا في الدفترْ
حُبُّكِ رسَّامٌ مجنونٌ
لا يرسُمُ إلَّا... بالأحمَرْ

ويُخَرْبِشُ فوقَ جدار الشمسِ
ولا يرتاحُ... ولا يضْجَرْ...
ويُصوِّرُ عَنْتَرةَ العَبْسيَّ
يصوِّرُ عرشَ الإسْكندَرْ...
ما كلُّ قياصِرَةِ الدنيا؟
ما دُمْتِ معي... فأنا القيصَرْ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

إلى صَامِتَة

تكلَّمي... تكلَّمي...
أيَّتُها الجميلةُ الخَرْسَاءْ
فالحبُّ... مثل الزَهْرة البيضَاءْ
تكونُ أحلَى... عندَما
تُوضَعُ في إناءْ...

* * *

تَحَدَّثي إليَّ... في بَساطةٍ
كالطيرِ في السَماءِ...
والأسماكِ في البِحارْ
واعتَبريني منكِ يا حَبيبتي
هَلْ بَينَنا أسرارْ؟
أَبَعْدَ عامَيْنِ مَعًا...
تَبقى لنا أسرارْ؟

* * *

تَحدَّثي...
عَن كلِّ ما يخطُرُ في بالِك من أفكارْ
عَن قِطَّة المنزِلِ...
عَن آنيةِ الأزهارْ
عَنِ الصديقاتِ اللواتي
زُرْتِ في النهارْ...

والمسرحيّاتِ التي شاهَدْتِها...
والطقْسِ... والأسفارْ

* * *

تَحَدَّثي...
عَمَّا تُحبّينَ مِنَ الأشعارْ
عَن عودةِ الغيمِ وعَنْ رائِحَةِ الأمطارْ
تَحدَّثي إليَّ عن بَيروتْ
وَحُبِّنا المنقوش...
فوقَ الرملِ والمَحَارْ
فإنَّ أخبارَكِ يا حَبيبتي
سَيِّدةُ الأخبارْ...

* * *

تَصَرَّفي حَبيبتي...
كسائِرِ النِّساءْ
تكلَّمي... عَن أبْسَطِ الأشياءْ
وأصغَرِ الأشياءْ
عَن ثوبكِ الجديدِ...
عَن قُبَّعةِ الشتاءْ
عَنِ الأزاهير التي اشتَرَيْتِها
مِن (شارعِ الحمراءْ)...

* * *

تَكلَّمي... عمَّا فعلتِ اليومْ
أيَّ كتابٍ مثلًا...
قرأتِ قبلَ النَوْمْ؟
أينَ قضيتِ عُطلةَ الأسبوعْ؟
وما الذي شاهَدْتِ من أفلامْ؟
بأيِّ شَطٍّ كنتِ تَسبحينْ؟
هل صِرْتِ...

لونَ التَبْغِ والوردِ ككُلِّ عامْ؟

* * *

تَحَدَّثي... تَحدَّثي...
مَنِ الذي دَعاكِ...
هذا السبتَ للعَشاءْ؟
بأيِّ ثوبٍ كُنتِ تَرْقُصينْ؟
وأيِّ عقدٍ كنتِ تَلبسينْ؟
فكلُّ أنبائِكِ يا أميرتي...
أميرةُ الأنباءْ...

* * *

عادِيَّةٌ...
تَبْدُو لكِ الأشياءْ...
سَطْحيَّةٌ...
تبدُو لكِ الأشياءْ
لكنَّ ما يهمُّني...
أنتِ مع الأشياءْ
وأنتِ... في الأشياءْ...

قصائِد مُتوحّشة، 1970

خَربَشاتٌ طفولِيّة

خطيئتي الكبيرةُ الكبيرَهْ
أنّيَ، يا بحريّةَ العينينِ، يا أميرَهْ
أُحبُّ كالأطفالْ
وأكتبُ الشعرَ على طريقة الأطفالْ
فأشهرُ العشّاقِ يا حبيبتي
كانوا من الأطفالْ
وأجملُ الأشعار، يا حبيبتي
ألَّفها أطفالْ...
خطيئتي الأُولى وليستْ أبدًا خطيئتي الأخيرَهْ
أنّي أعيش دائمًا بحالة انبهارْ
وأنّني مُهيَّأ للعشقِ يا حبيبتي
على امتداد الليل والنهارْ...
وأنَّ كلَّ امرأةٍ أحبُّها...
تكسرني عشرينَ ألفَ قطعةٍ
تجعلني مدينةً مفتوحةً...
تتركني – وراءها – غُبارْ
خطيئتي...
أنّي أرى العالمَ يا صديقتي
بمنطق الصغارْ
ودهشة الصغارْ...

وأنّني أقدرُ في بساطةٍ
أن أرسمَ النساءَ في كرّاستي...
بهيئة الأشجارْ
وأجعلَ النهدَ الذي أختارُهُ
طيَّارةً من ورقٍ...
أو زهرةً من نارْ...

* * *

خطيئتي.
– ومن بنا كان بلا أخطاءْ –
أنّي بقيتُ مؤمنًا بزرقة السماءْ
وأنّني أعتبرُ الأشجارَ، والنجوم، والغيومَ أصدقاءْ
وأنّني جعلتُ من قصائدي
عاصمةً تحكمها النساءْ...
فأيُّ ثغرٍ مُغْلَقٍ
يقول في مملكتي جميعَ ما يشاءْ
وأيُّ نهدٍ خائفٍ...
يقدر أن يطيرَ أو يحطَّ... في الوقت الذي يشاء...

* * *

خطيئتي...
– إن كنتِ تحسبينها خطيئةً –
أنّيَ من طفولتي...
أبحث عن جِنّيّةٍ نائمةٍ بغابَهْ
مرآتُها بحيرةٌ...
ومشطُها سحابَهْ
خطيئتي...
أنّي أظلُّ دائمًا... منتظرًا قصيدةً...
تجيء من شواطئ الغرابَهْ
وأنّني أدركُ يا حبيبتي

كيف يكونُ الموتُ في الكتابَهْ...

* * *

خطيئتي...
أنّي نقلتُ الحبَّ من كهوفهِ
إلى الهواء الطَلْقْ
وأنَّ صدري صارَ يا حبيبتي
كنيسةً مفتوحةً لكلِّ أهل العشْقْ...

أشعارٌ خارِجة على القانون، 1972

تَنويعات موسيقيَّة عَن امرأة مُتجرِّدة

1

كانَ في صدركِ ديكانِ جميلانِ...
يصيحانِ كثيرًا...
ويُنامانِ قليلا...
وأنا كنتُ بلا نومٍ...
وكانَ الشرشَفُ المشغُولُ بالإبْرةِ...
مزروعًا عصافيرَ...
وورداً...
ونخيلا...
كيف يأتي النومُ يا سيّدتي؟
كيف يأتي؟
وحقولُ الشاي في سيلانَ، تدعوني...
وأدغالُ البهاراتِ...
وجَوْزِ الهندِ...
لا تترك للنوم سَبيلا...
أنتِ نامي... فأنا من يوم ميلادي بلا نومٍ...
وأعصابي كأسلاكٍ من القشِّ...
ووجهي كقصاصات المجلّات القديمَهْ...
ما احترفتُ القَتْلَ من قبلُ... ولكنْ...
سَمَكُ القِرش الذي يقفزُ من خلجان نهديْكِ

البدائيَّيْنِ... يُغريني بتنفيذ الجريمَهْ

2

... كان في صدركِ حقلانِ من القُطْن...
وكانَ البُرْنُسُ الأحمرُ... مفتوحًا من النصفِ...
وجُرحي كان مفتوحًا من النصفِ...
وكانَ المرمرُ الأخضرُ في الحمَّامِ...
مذبوحًا من الشوقِ...
وكانت رغوةُ الصابون، واللاوَنْدِ...
تجتاحُ البراويزَ
وتجتاحُ الثريّاتِ...
وتجتاحُ مساماتي...
وترميني على الأرض شظايا...

3

كان نهداكِ خَرُوفَيْنِ صغيريْنِ...
وكانا... يأكلانِ العُشْبَ من صدري...
وكانَ الصوفُ من كشْميرَ... منثورًا على وجهي...
وقمصاني...
وفي كُلِّ الزوايا...
كنتُ كالبلّور مكسورًا على الأرضِ...
وكانت قهوتي تشربني...
والبرنُسُ المبتلُّ بالماءِ...
يناديني...
ويُهديني ملايينَ الهدايا...

4

... كان نهداكِ حصانيْنِ بلا سَرْجٍ...
وكانا يشربانِ الماءَ من قعر المرايا...

وأنا من أُمَّةٍ تحترم الخيلَ...
وما للخيل من طبعٍ كريمٍ... وسجايا
آهِ لو قَدَّمتُ لوزًا للحصانيْنِ...
وتينًا... وزبيبًا...
آهِ...
لكنْ هاجرتْ منّي يدايا...
شهوتي سيفٌ حجازيٌّ...
ونهداكِ كأرض الروم...
من ماتَ على أسوارها...
كفَّر عن كلِّ الخطايا...

5

كان نهداكِ مليكيْنِ عظيمينِ...
وكانا يحكمانِ البرَّ والبحرَ...
وكانَ العدلُ موفورًا...
وكان الخبزُ موفورًا...
وكانَ الشعبُ يدعو للمليكينِ... بطول العمرِ...
في كلِّ الميادين... وفي كلِّ التكايا...
وأنا من حسن حظّي أنّني...
عاصرتُ نهديكِ...
وقدّمتُ ولائي لهما...
مثلَ ملايين الرعايا...

6

... كانَ يا ما كانَ...
في صدركِ أسماكٌ... وخيلٌ... ودُيوكٌ
وملوكٌ... وزغاليلُ حَمَامٍ
وزغاريدُ صبايا...
وأنا كنتُ على سجَّادة الكاشانِ مرميًّا...

ومن حولي نثاراتُ شموسٍ...
وفتافيتُ مرايا...

أشعارٌ خارِجة على القانون، 1972

البرتقالة

1

يُقشِّرُني الحبُّ كالبُرْتُقَالةِ...
يفتحُ في الليل صدري،
ويتركُ فيهِ:
نبيذًا، وقمحًا، وقنديلَ زيتْ
ولا أتذكَّرُ أنّي انْذَبَحتُ
ولا أتذكّرُ أنّي نَزَفْتُ
ولا أتذكّرُ أنّي رأيتْ...

2

يُبعثرني الحبُّ مثلَ السحابةِ،
يُلغي مكانَ الولادةِ،
يُلغي سنينَ الدراسةِ،
يُلغي الإقامةَ، يُلغي الدِيانةَ،
يُلغي الزواجَ، الطلاقَ، الشهودَ، المحاكمَ،
يسحبُ منِّي جوازَ السَفَرْ...
ويغسلُ كلَّ غُبار القبيلةِ عنِّي
ويجعلني...
من رعايا القَمَرْ...

3

يُغيِّرُ حُبُّكِ طقسَ المدينةِ، ليلَ المدينةِ،
تغدو الشوارعُ عيدًا من الضوء تحت رَذاذ المَطَرْ
وتغدو الميادينُ أكثرَ سحرا
ويغدو حمامُ الكنائس يكتبُ شِعْرا
ويغدو الهوى في مقاهي الرصيف
أشدَّ حماسًا، وأطولَ عمرا...
وتضحكُ أكشاكُ بيع الجرائدِ حين تراكِ...
تجيئينَ بالمعطفِ الشَتويّ إلى الموعد المنتظرْ...
فهل صدفةٌ أن يكون زمانُك
مرتبطًا بزمانِ المطرْ؟...

4

يُعلِّمني الحبُّ ما لستُ أعلمُ،
يكشفُ لي الغيبَ، يجترحُ المعجزاتْ
ويفتَحُ بابي ويدخُلُ...
مثلَ دخول القصيدة،
مثلَ دخول الصلاةْ...
وينثرني كعبير المانوليا بكلِّ الجهاتْ
ويشرحُ لي كيف تجري الجداولُ،
كيف تموجُ السنابلُ،
كيف تُغنِّي البلابلُ والقُبَّراتْ
ويأخذُ منّي الكلامَ القديمَ،
ويكتُبُني بجميع اللُغَاتْ...

5

يقاسمني الحبُّ نصفَ سريري...
ونصفَ طعامي،
ونصفَ نبيذي،

ويسرق منِّي المواني‌ءَ والبحرَ،
يسرقُ منِّي السفينَهْ
وينقُرُ كالديكِ وجهَ الشراشفِ،
يصرخُ فوق قباب المساجدِ...
يصرخُ فوقَ سطوح الكنائسِ...
يوقظُ كلَّ نساءِ المدينَهْ...

6

يعلّمني الحبُّ كيف تكونُ القصائدُ مائيَّةَ اللونِ،
كيف تكون الكتابةُ بالياسمينْ...
وكيف تكونُ قراءةُ عينيكِ...
عَزْفًا جميلًا على المانْدُولينْ
ويأخذني من يدي... ويُريني بلادًا
نهودُ جميلاتها من نحاسٍ...
وأجسادُهُنَّ مزارعُ بُنٍّ...
وأعْيُنُهُنَّ غناءُ فلامنكو حزينْ
وحين أقولُ: تعبتُ
يمدُّ عباءتَهُ تحت رأسي
ويقرأ لي ما تيسَّرَ من سورةِ الصابرينْ

7

يفاجئني الحبُّ مثلَ النُبُوءة حين أنامْ
ويرسمُ فوق جبيني
هلالًا مضيئًا، وزوجَ حَمَامْ
يقولُ: تكلَّمْ!!
فتجري دموعي، ولا أستطيعُ الكلامْ
يقولُ: تألَّمْ!!
أُجيبُ: وهل ظلَّ في الصدر غيرُ العظامْ
يقولُ: تعلَّمْ!!

أجاوبُ: يا سيّدي وشفيعي
أنا منذُ خمسينَ عامًا
أُحاولُ تصريفَ فعل الغرامْ
ولكنّني في دروسي جميعًا رسبتُ
فلا في الحروب ربحتُ...
ولا في السلامْ...

أحبّكِ... أحبّكِ والبقيّة تأتي، 1978

رِسالة حُبّ رقم 55

لماذا تطلبينَ منّي أن أكتبَ إليكِ؟
لماذا تطلبين منّي
أن أتعرّى أمامكِ كرجل بدائيّ؟
الكتابةُ هي العملُ الوحيدُ الذي يعرّيني.
عندما أتكلّم...
فإنّني أحتفظ ببعض الثياب
أمّا عندما أكتب...
فإنّني أصير حرًّا، وخفيفًا
كعصفور خرافيٍّ لا وزن له...
عندما أكتب...
أنفصل عن التاريخ... وعن جاذبيَّة الأرض...
وأدورُ ككوكبٍ...
في فضاء عينيك...

مِئَة رسالة حُبّ، 1970

رِسالة حُبّ رقم 71

يوم تعثرينَ على رَجُل...
يقدر أن يحوّل كلَّ ذرّة من ذرّاتكِ
إلى شِعْرْ...
ويجعل كلَّ شَعْرة من شَعَراتكِ... قصيدة
يوم تعثرين على رَجُل...
يقدر – كما فعلتُ أنا –
أن يجعلك تغتسلينَ بالشِعرْ...
وتتكحّلين بالشِعرْ...
وتتمشّطين بالشِعرْ...
فسوفَ أتوسّل إليكِ...
أن تتبعيه بلا تردّد...
فليس المهمّ أن تكوني لي...
وليس المهمّ... أن تكوني له...
المهمّ...
أن تكوني للشعرْ...

مِئَة رسالة حُبّ، 1970

تَصوير

إضْطَجعي دقيقةً واحدةً...
كي أُكْمِلَ التصويرْ...
إضْطَجعي مثلَ كتابِ الشِعْر في السريرْ
أريدُ أن أُصَوّرَ الغاباتِ في ألوانِها
أريدُ أن أُصَوّرَ الشاماتِ في اطمئنانِها
أريدُ أن أُفاجئَ الحَلْمَةَ في مكانِها
والناهدَ الأحمقَ – يا سيّدتي –
قُبَيْلَ أن يطيرْ...
فساعديني...
– إنْ تكرَّمْتِ – لكَيْ أصالحَ الحريرْ
وساعديني...
– إنْ تكرَّمْتِ – لكي أفوزَ في صداقة الكَشْمِيرْ.
لعلَّهُ يسمحُ لي بِرَسْمِ هذا الكوكبِ المُثيرْ...
ولْتَقْبلي تحيّتي...
مَقْرُونةً بالحُبِّ والتقديرْ.

الحُبّ لا يَقِف على الضَّوء الأحمَر، 1985

مِن غير يَدَيْن

لم أكُنْ مُنْتَظِرًا...
أنْ تَتْقُبِيني مثلَ رُمْحٍ وَثَنِيٌّ
لم أكُنْ منتظِرًا...
أن تدخلي في لُغتي... وكَلَامي...
وإشاراتِ يَدَيٌّ
لم أكُنْ منتظِرًا...
أن تُصبحي أنتِ الثقَافَهْ...
لم أكُنْ منتظرًا...
أن أخسرَ التاجَ... وحَقِّي بالخِلافَهْ...
فلقد كنتُ قويًّا... وشهيرًا
وجُنُودي يملأونَ البرَّ والبحرَ...
ورایاتي تُغَطِّي المَشْرِقَينْ
لم أكُنْ منتظرًا أن يحدثَ الزَلْزَالُ...
أن ينْشَطِرَ البحرُ...
وأن تكسِرَني عيناكِ، يومًا، قِطْعَتَيْنْ...

* * *

لم أكُنْ مُنتظرًا...
حينَ قَبَّلتُكِ أن أنسى لَدَيْكِ الشَفَتَينْ
لم أكُنْ مُنتظرًا...
حينَ عانقتُكِ... أن أرجعَ من غيرِ يَدَيْنْ...

الحُبّ لا يَقِف على الضَّوء الأحمَر، 1985

التقصير

منذُ ثلاثينَ سَنَهْ
أحلُمُ بالتغييرْ
وأَكتُبُ القصيدةَ الثورةَ... والقصيدةَ الأزْمةَ...
والقصيدةَ الحريرْ...

* * *

منذُ ثلاثينَ سَنَهْ
أَلْعَبُ باللُغاتِ مثلما أَشَاءْ
وأكتبُ التاريخَ بالشكل الذي أَشاءْ...
وأجعلُ النقاطَ، والحروفَ، والأسماءَ، والأفعالَ،
تحت سُلْطَة النساءْ.
وأدَّعي بأنّني الأوّلُ في فَنِّ الهوى...
وأنَّني الأخيرْ...

* * *

وعندما دخلتُ... يا سيِّدتي
إلى بَلَاط حُبِّكِ الكبيرْ...
إنْكَسَرتْ فوق يدي قارورةُ العبيرْ
وانْكَسرَ الكلامُ – يا سيِّدتي – على فمي
وانْكَسَرَ التعبيرْ...

* * *

ولا أزالُ كلَّما سافرتُ في عينَيْكِ... يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ...
وكلّما حدَّقتُ في يَدَيْكِ يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ...
وكلَّما اقتربتُ من جمالك الوحشيّ يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ...
وكلَّما راجعتُ أعمالي التي كتبتُها...
قُبَيْلَ أن أراكِ يا حبيبتي...
أشعرُ بالتقصيرْ...
أشعرُ بالتقصيرْ...
أشعرُ بالتقصيرْ...

الحُبّ لا يَقِف على الضَّوء الأحمَر، 1985

ثلاث مفاجآتٍ لامرأة رومانسيّة...

سَتُفاجأ – سيّدتي – لو تعلمُ
أنّي أجهلُ ما تعريفُ الحبُّ!!.
وستحزن جدًّا... حين ستعلمُ
أنَّ الشاعرَ ليس بعلَّامٍ للغيبْ...
أنا آخرُ رجلٍ في الدنيا
يَتنبَّأ عن أحوال القلبْ
سيّدتي:
إنّي حين أحبُّكِ...
لا أحتاجُ إلى (أل) التعريفْ
سأكونُ غبيًّا لو حاولتُ،
وهل شمسٌ تدخُلُ في ثقبْ
لو عندكِ تعريفٌ للشِعْرِ...
فعندي تعريفٌ للحُبُّ...

* * *

ستُفاجأ سيّدتي لو تعلمُ
أنّي أمّيٌّ جدًّا في علم التفسيرْ
إنْ كنتُ نجحتُ كتابيًّا في عَمَل الحُبّ
فما نَفْعُ التنظيرْ؟؟
أيصدِّقُ أحدٌ أنَّ مَليكَ العِشْقِ، وصيَّادَ الكلماتْ
والديكَ الأقوى في كلّ الحَلَباتْ

لا يعرفُ أينَ... وكيفَ...
تُبلّلنا أمطارُ الوجدْ
ولماذا هندٌ تُدخِلُنا في زمن الشِعر...
ولا تُدْخِلُنا دعدْ...
أيصدّقُ أحدٌ أن فقيهَ الحبِّ، ومرجعَهُ
لا يُحْسِنُ تفسيرَ الآياتْ...

* * *

ستُفاجأُ سيّدتي لو تعلمُ،
أنّي لا أهتمُّ بتحصيل الدرَجَاتْ
وبأنّي رجلٌ لا يُرْعبُهُ تكرارُ السَنَواتْ
وتُفاجأُ أكثرَ...
حين ستعلمُ أنّي رغْمَ الشيب... ورغْمَ الخبرةِ...
لم أتخرَّجْ من جامعة الحُبُّ...
إنّي تلميذٌ سيّدتي...
إنّي تلميذُكِ سيّدتي...
وسأبقى – حتّى يأذَنَ ربّي – طالبَ علمْ
وسأبقى دومًا عصفورًا...
يتعلَّمُ في مدرسة الحُلْمْ...

سَيَبقى الحبُّ سيِّدي..، 1987

5 دقائق

إجلسي خَمْسَ دقائقْ
لا يريدُ الشِعْرُ كي يسقطَ كالدرويشِ
في الغيبوبة الكبرى
سوى خَمْسِ دقائقْ...
لا يريدُ الشِعْرُ كي يثقبَ لحمَ الورقِ العاري
سوى خَمْسِ دقائقْ...
فاعشقيني لدقائقْ...
واخْتَفِي عن ناظري بعد دقائقْ
لستُ أحتاجُ إلى أكثرَ من عُلْبَة كبريتٍ
لإشعالِ ملايين الحرائقْ
إنَّ أقوى قِصَصِ الحبّ التي أعرفُها
لم تدُمْ أكثرَ من خمس دقائقْ...

سَيَبقى الحبُّ سيِّدي..، 1987

أُشهرك في وجه البشاعة... دفتر شِعْر

1

أُشْهرُكِ في وجه العالم
سيفًا من الياسمينْ...
وأُعلنُ انتصاري.
أُشْهرُكِ في وجه الكافرينَ،
كتابًا مقدَّسًا
وفي وجه الأمّيّينَ، قصيدَهْ...
وفي وجه البداوةِ، مملكةً من الرخَامْ.
أرمي جوازَ سفري في البحرْ...
وأُسمّيكِ وطني...
أرمي جميعَ معاجمي في النارْ
وأُسمّيكِ لُغَتي...
وأغتالُ جميع ملوكِ الطوائفْ
وأُسمّيكِ مليكتي.

2

أُشهرُكِ في وجه تَمُّوزَ
وعدًا بالمَطَرْ
وفي وجه العَصَافيرِ...
وعدًا بالشَجَرْ

وفي وجه النوارس...
وعدًا باللون الأزرقْ
وأرافقُ الأطفالَ في رحلةٍ مدرسيّةٍ
حولَ نهديْكِ...
ليلعبوا بكُرات الثلج.
ويصطادوا البطَّ المائيْ
ويُشاهدوا – على الطبيعة –
كُرَويّةَ الأرضْ...

3

أُشْهرُكِ في وجه الصحراءِ
نَخْلَهْ...
وفي وجه الجَفَاف، سُنْبُلَةَ قمحْ
وفي وجه الظلام،
شمعدانًا من الذَهَبْ
وفي وجه الجائعينَ، رغيفَ خُبْزْ
وفي وجه المسْتَعْبَدينْ
رايةَ حُرّيّةْ...
أُشْهرُكِ في وجه البشاعَةْ
حمامةً بيضاءْ
ونافورةَ ماءٍ... وكتابَ شعرْ

4

أُشْهرُكِ في وجه البوليس العربيْ
أغنيَهْ...
وفي وجه النفط العربيْ
قارورةَ عطرْ
وفي وجه الموت العربيْ
بشارةَ ولادَهْ...

5

أُعلنُ أمامَ أكَلَة لحوم النساءْ
أنَّكِ حبيبتي
فيرمونَ أضراسَهُمْ في البحرْ
ويقلعونَ أظافرهُمْ
ويغسلون الدمَ عن ثيابهمْ
ويدخلون عصر النهضةْ...

سَيَبقى الحبُّ سيِّدي..، 1987

ليلةٌ في مناجم الذهب

1

جسمُكِ مدْعُوكٌ بالثلج والنارْ
ومعجونٌ ببعضهْ...
كمربّى التين والسفرجَلْ
ومطروقٌ كأباريق النحاسْ
ومليسٌ كالبروكار الدمشقيّْ
وعابقٌ كأسواق البهارْ
في مدينةٍ آسيويَّهْ.

2

جسمُكِ مطرَّزٌ بالشاماتِ
كليل الباديَهْ
ومزخرفٌ بالأزهارِ،
كالخَطّ الكوفيّ
وطازجٌ كعروق النعناعْ
ولامعٌ تحت الشمس كفَقَمةِ البحرْ
ومُسْتَنْفَرٌ للقتال...
كديكٍ لا يَنامْ...

3

جسمُكِ مهرجانٌ للضوء والصوت
يُقَامُ تحت رعاية اللَّهْ...

4

جسمُكِ ليرةٌ ذهبيَّهْ
ضُربتْ في القسطنطينيّهْ
ولم يجرؤ أيٌّ من السلاطينْ
أن يصكَّ مثلَها مرّةً ثانيَهْ...

5

جسمُكِ مكتظٌّ بالأحجار الكريمَهْ
مكتظٌّ بالمعادن،
والحنطة،
والتوت البريّْ
وأشجار السُمَّاقْ
مكتظٌّ بالنُبُوءات كالكُتُب المقدَّسهْ
ومضروبٌ بالحليبِ والعَسَلِ الأسودْ
ومُشرَّبٌ بالشمس
كلحم الفاكهة الإستوائيَّهْ...

6

جسمُكِ له رائحةُ القِرْفة واليانسونْ
ورائحةُ الأطفالْ
في اليوم الأوّل من ولادتهمْ...

7

جسمُكِ مَقَامٌ عراقيٌّ قديمْ
وقهوةٌ... وهالْ

وأمطارُ لؤلؤٍ كريمْ
و«إنّه من سليمانَ،
وإنّه بسْمِ الله الرحمنِ الرحيمْ»

8

جسمُكِ مكتنزٌ كبرتقالهْ
ومغامرٌ كسَمَكهْ
ومفتوحٌ كورقة الكتابَهْ...

9

جسمُكِ برجٌ من الذَهبْ
يستقبلُ كلَّ صباحٍ ألفَ حمامَهْ
ويودِّع ألفَ حمامَهْ

10

جسمُكِ شَجَرةُ موسيقى
كلّما هززتُها
تساقطتْ منها الموشّحاتْ الأندلسيَّهْ
ودموعُ إسحق الموصلي...

11

جسمُكِ دفترٌ سرّيٌ
سجّلتُ عليه
كلَّ تاريخ الشعرْ
وكلَّ تفاصيل ليلة القَدْرْ

12

جسمُكِ وليمةٌ مجنونَهْ
من ولائم الرومانْ

يسكرُ فيها النهدْ...
حتّى يسقط على سجادة الموكيت
نجمةً محترقَهْ...

13

جسمُكِ قبيلةٌ تحترف الحربْ
كتيبةٌ مدجّجةٌ بالأنوثَهْ...
غَزْوَةٌ حضاريّة
لاحتلال جميع رجال العالمْ.

14

جسمُكِ كاتدرائيَّةٌ قوطيّةُ الأقواسْ
تُمارَسُ فيها كلُّ الدياناتْ
وتُضاءُ الشموعْ
وتُقرعُ الأجراسْ
جسمُكِ منارةُ المناراتْ
ووطنُ السفن التي لا وطن لها
ووطن العصافير التي تموت من شدّة البردْ
ووطنُ الكلمات
التي تموتُ من شدّة القمعْ...

15

جسمُكِ مزارٌ...
لوَليٍّ شرقيٍّ مات عشقًا
ومخطوطةٌ من العهد القديمْ
عليها تواقيعُ ملوكٍ وأنبياءْ
ومغنّينَ وشعراءْ
ورسّامينَ من عصر النهضَهْ
ومعماريّينَ...

من السلالة الفرعونيّة الرابعَهْ...

16

جسمُكِ عصفورٌ يلعبُ على البيانو جيّدًا
ويغنّي... ويرقص...
ويكتب الشعرَ جيّدًا.
جسمُكِ حربةٌ من البرونز المشتعلْ
تسافرُ في لحمي... جيّدًا...
وتذبحني...
جيّدًا... جيّدًا... جيّدًا...

17

جسمُكِ حاضرُ البديهة دائمًا
كثعلبٍ متربّصٍ في غابَهْ...

18

جسمُكِ كتابٌ يُقرأ من كلِّ الجهاتْ
عَمُوديًّا يُقرأْ...
وأُفقيًّا يُقرأْ...
في الصباح يُقرأْ
وفي المساء يُقْرأْ
وفي وقت القيلولة يُقرأْ
من الْتِفاتَةِ العُنُق يُقرأْ
ومن شموخ النهدين يُقرأْ
ومن أصابع القدمينِ يُقرأْ
ومن استدارة الفخذين يُقرأْ
جسمُكِ قارّةٌ متعدّدةُ اللُّغاتْ...

19

جسمُكِ فيه كلُّ عَظَمة التراثْ
وكلُّ دهْشَة الحداثَهْ
فيه شيءٌ من أصوليّة المتنبّي
وشيءٌ من إضاءات رامبو
وهَلْوَسَات سلفادور دالي...

20

جسمُكِ ثَوْريٌّ بالفطرَهْ
وفدائيّ بالفطرَهْ
وقاتلٌ أو مقتولٌ...
بالفطرَهْ...

21

إذا كان نهداكِ مثقّفينِ ثقافةً عاليَهْ
– كما تقولينْ –
فلماذا لم يعترفا حتّى الآنْ
بقانون الجاذبيّة الأرضيّهْ؟

22

درَّسونا في كلّيّة الحقوقْ
أن نَهْدَكِ...
هو أقدمُ إعلان للحرّيّة
عرفه العالمْ...

23

جسمُكِ إشكالٌ لغويٌّ كبيرْ
فلا أنا أعرف كيف أحفظُهْ...
ولا أنا أعرفُ كيف أنساهْ...

24

جسمُكِ هو المَلِكْ
وهو يحكُمُنا باسم اللّهْ
ويدخُلنا الجنَّة بأمرِ اللّهْ...
ويطردنا منها... بأمْرِ اللّهْ...

25

عندما تجلسين على المقعد الأخضرْ
ويقرّرُ جسمُكِ أن يلقيَ قصيدتَهْ...
أستقيلُ أنا من الكلامْ...

سَيَبقى الحبُّ سيّدي..، 1987

قبل أن... بعد أن...

1

قبل أن أحبّكِ.
كنتُ متصالحًا مع اللُغَهْ
ألعب بها، بمهارة ساحرٍ محترفْ
وأحرّك خيوطَها...
كما يحرّك طفلٌ طيارةً من ورقْ
كنتُ أميرَ الطير... وسيّد المُغنّينْ
وكنتُ إذا سرتُ في الغابَهْ
تركض خلفي الأرانبْ...
وتتبعني الأشجارْ
وتكلّمني الضفادعُ النهريّهْ
وتنزلُ النجومُ من شُرُفاتِها
لتنامَ على كَتِفي...

2

قبل أن أحبَّكِ...
كانت إقطاعاتي الأدبيَّهْ
لا تغيبُ عنها الشمسْ
ومملكتي الشعريَّهْ
تمتدُّ من الماء إلى الماءْ

ومن النساءِ... إلى النساءْ
وكانت الشفةُ التي لا أكتب عنها
تتحوّلُ إلى وردةٍ من وَرَقْ...
وكان النهدُ الذي لا يبايعني
ملكًا مدى الحياهْ
يُعتبر نهدًا أمّيًّا... ورجْعيًّا
وتسقطُ عنه حقوقُه المدنيّهْ.

3

قبل أن أُحبّكِ...
كان يختبىءُ في حنجرتي عشُّ عصافيرْ
ويعزفُ في دمي
ألفُ تشايكوفسكي...
وألفُ رحمانينوفْ
وألفُ سيّد درويشْ
كانت الأبجديّةُ صديقتي
وكانت الثمانيةُ وعشرونَ حرفًا
تكفي لبوحي، واعترافاتي
وتتبعني كقطيعٍ من الغزلانْ
تأكُلُ العشبَ من يدي
وتشربُ الماءَ من يدي...
وتتعلَّمُ أصولَ الحبّ على يدي...

4

قبل أن أحبَّكِ...
كانت لغتي على قَدِّي
وأحلامي على قَدِّي
وحزني. وفَرَحي. وجنوني
على قَدِّي...

وحين جاءَ الحبُّ الكبيرْ
بدأ المأزقُ الكبيرْ
وتمزَّقتْ خرائطُ اللغَهْ
وصارَ كلُّ ما أعرفه من كلامٍ جميلْ
لا يكفي لتغطية عَشْر دقائقَ من الحنينْ
عندما أدعوكِ للعشاءْ...

5

قبل أن تصبحي حبيبتي
كنتُ أضطجعُ على سرير اللُّغَهْ
كأيِّ ملكٍ شرقيّ
أتغزّلُ بالكلمة التي أُريدْ
وأتزوّجُ المُفْرَدَةَ التي أُريدْ
لم يكنْ عندي مشكلةٌ مع اللُّغَهْ
كنتُ مسكونًا بالرنين كأرغُنِ كنيسَهْ
وكنتُ أهدل كالحمائمْ
وأصدح كطيور الكناري
وألبس اللغةَ في إصبعي
خاتمًا من الزمرّد الأخضرْ...

6

بعد أن صرتِ حبيبتي
أضعتُ ذاكرتي اللغويّةَ نهائيًّا
ونسيتُ كيف تُهجَّى الحروف... وكيف تُكْتَبْ...
فلم أعُدْ أتذكّر من الأسماء
إلّا اسْمَكِ...
ولم أعُدْ أتذكّر من الأصوات...
إلّا صوتَكِ...
ولا أتذكّر من موانىء البحر الأبيض المتوسّطْ

سوى عينيكِ المكتظّتينِ...
بالحزنِ...
والكُحْلِ...
وطيورِ النَوْرَسْ...

7

بعدَ... أن دَخَلَ سيفُكِ في لحمي
ولحم ثقافتي
إكتشفتُ أنّ مساحةَ الفنّ تضيقْ
كلّما اتَّسعتْ مساحةُ العشقْ
وأنّ الكلمات التي كنتُ أعرفها قبلكِ
سقطتْ من التداولْ
كعملةٍ ورقيّة ليس لها تغطيَهْ
وأنَّ جميعَ ما أعرفه من مفرداتْ
لا يكفي لتسديد ثمن فنجانيْ قهوَهْ
في أحد مقاهي فينيسيا... أو كومو...
أو فيينا... أو لوغانو...
أو بيروتْ...

8

يا التي تعتقلني في داخل قصائدي
وتتحكّم بمفاتيح حنجرتي
ومقامات صوتي...
لم يعد يكفيني أن أقولَ (أُحبُّكِ)
أريد أن أصل معكِ إلى مرحلة ما بَعْدَ اللغَهْ
وما وراء جميل بثينَهْ...
وسُحَيْم...
وعُرْوةِ بنِ الوردْ
والرمزيين، والبرناسيين، والسرياليينْ...

فيا سيّدتي، التي أخذت في حقيبتها اللغَهْ...
وسافرتْ...
لماذا أطلقتِ الرصاصَ على فمي؟
وأرجعتِني إلى مرحلة التَأْتأَهْ...

سَيَبقى الحبُّ سيِّدي..، 1987

ظَنُّوني بُسْتَانْ

يَهْطُلُ منّي – حين أُحِبُّكِ –
مَطَرٌ أَخْضَرُ.
مَطَرٌ أَزْرَقُ.
مَطَرٌ أَحْمَرُ.
مَطَرٌ من كُلِّ الألوانْ
يخرجُ من أجفاني قَمْحٌ...
عِنَبٌ. تينٌ. ليمونٌ. رَيْحَانْ.
يبزُغُ منِّي – حين أُحِبُّكِ –
نِصْفُ هلالٍ...
يُولَدُ صيفٌ،
يأتي عُصْفُورٌ دُوريٌّ،
تمتليءُ الغُدْرَانْ...

* * *

فإذا لاقيتُ رفاقي في المقْهَى
وجلستُ إليهمْ
ظنُّوني بُسْتَانْ...

الأوراقُ السِّريّة لعاشِقٍ قُرْمُطِيٍّ، 1988

سِبَاق

ليس هناكَ امرأةٌ أجْمَلُ من قصائدي
فلا تَغاري...
إنْ أنا نِمْتُ مع الأقلامِ... والأوراقْ
وحاذري...
أن تَدْخلي الحربَ مع الشِّعْرِ...
فسوفَ تخسرينَ – يا سيِّدتي – السِبَاقْ...

الأوراقُ السِّريّة لعاشِقٍ قُرْمُطِيٍّ، 1988

خمسةُ نُصُوصٍ عن الحُبّ

1

حُبُّكِ...
حَدَثٌ تاريخيٌّ من أحداث الكونِ،
وعُرْسٌ للأزهارِ وللأعشابْ.
وحْيٌ ينزِلُ... أو لا ينزِلُ...
طِفْلٌ يُولَدُ... أو لا يُولَدُ...
بَرْقٌ يَلْمَعُ... أو لا يَلْمَعُ...
قَمَرٌ يطلعُ أو لا يطلعُ...
من بين الأهدابْ.

2

حُبُّكِ...
نصٌّ مِسْماريٌّ،
آشوريٌّ،
فِينيقيٌّ،
سِرْيانيٌّ،
فِرْعَونيٌّ،
هِنْدُوكيٌّ،
نصٌّ لم يُكْتَبْ في أيِّ كِتابْ...

3

حُبُّكِ...
وقْتٌ بين السِلْمِ، وبين الحَرْبِ
وليسَ هنالكَ حَرْبٌ
أسْوَأُ من حَرْب الأعصابْ.

4

حُبُّكِ... سردابٌ سِحْريٌّ
فيه ملايينُ الأبوابْ.
فإذا ما أفْتَحُ بابًا...
يُغْلَقُ بابْ...
وإذا قبَّلتُ شفاهَكِ،
يهطُلُ من شفتيَّ الشَهْدُ،
ويجري السُكَّرُ والعُنَّابْ.
وإذا غَازَلتُكِ يومًا، يا سَيِّدتي
يقتُلُني الأَعْرابْ...

5

حُبُّكِ... يطرحُ ألفَ سُؤالٍ
ليس لها في الشِعْرِ... جَوَابْ.

لا غالبَ إلّا الحُبّ، 1990

عيناكِ وأَسْلِحتي

1

إسْتَعملتُ مَعَكِ...
كُلَّ الأسلحَةِ التقليديَّهْ
وكُلَّ الأسلحةِ المتطوّرَهْ
من قَوْس النَشَّابْ...
إلى الخَنْجَر اليَمانيْ...
إلى الرُمْح الإفريقيْ
إلى الصاروخِ العابر للقارَّاتْ.
إستعملتُ حتّى أظافري
لِكَسْرِ جدار كبريائِكْ...

2

وبعدما خسرتُ خُيُولي...
وجُنودي...
وأوسمتي...
قَعَدْتُ على مدافعي أبْكي
لأنّني اكتشَفْت
أنَّ جميعَ خرائطي قد سُرِقَتْ
وجميعَ برقيّاتي السِرّيّةِ قد كُشِفَتْ
وأَنَّ أشْجَعَ رجالي

تَرَكُوني
والتجأوا إلى عَيْنَيْكِ السَوْداوينْ...

لا غالبَ إلّا الحُبّ، 1990

التلاميذ يعتصمون في بيت الخليل بن أحمد الفراهيدي..

أرتكبُ القصيدةَ المعاصِرَهْ
أخرجُ كالعصفور من مربَّعات الذاكرَهْ
أخرجُ نحو البحرْ
أرتكبُ الخيانةَ العظمى التي
يُقالُ عنها: الشِعْرْ
أنتزعُ الأشكَالَ من أشكالها
أُزَعْزِعُ الأشياءَ من مكانِها
أزْرَعُ سِكّيني بصدر العصرْ...
أُمارسُ العشْقَ على طريقتي
في الجَهْرِ، لا في الستْر
أَفْعَلُهُ تحت المَطَرْ
أفعله تحت الشَجَرْ
أفعلُهُ على حَجَرْ...
مُخْتَرقًا كلَّ الخطوطِ الحُمْرْ...
أرتكبُ الشِعْرَ... ولا يهمُّني
إنْ قيلَ هذا بِدْعَةٌ
أو قيلَ هذا كُفْرْ
فلا أريدُ العَفْوَ من خليفةٍ
أو من طويل العمرْ

ولستُ أنوي...
حَذْفَ بيتٍ واحدٍ كتبتُهُ
إنْ جاءَ يومُ الحشرْ...

* * *

أرتكبُ القصيدةَ الكثيرةَ الخطايا
أرتكبُ القصيدةَ العظيمةَ الذُنُوبْ
أودّعُ النصَّ الذي أعرفُهُ
وأكتبُ النصَّ الذي يخترعُ الدُرُوبْ...
وأكره الشمسَ التي تطلع في موعدها
وأعشقُ الشمسَ التي تطلع دون موعدٍ
من شفة المحبوبْ...

* * *

أُقلِّدُ الشعرَ الذي يكتبهُ الأطفالْ
وأرسمُ القصيدةَ – الأرنبَ، والقصيدةَ – الغَزالْ
وأرسُمُ القصيدةَ – النحلةَ،
والقصيدةَ – البطَّةَ،
والقصيدةَ – الطاووسَ،
والقصيدةَ – السنجابَ،
والقصيدةَ الزرقاءَ كالهلالْ
وأرسمُ القصيدةَ – الإعصارَ،
والقصيدةَ – الزلزالْ،
أُحوّلُ الأرضَ إلى فراشةٍ جميلةٍ
أُحوِّل الدنيا إلى سؤالْ...

* * *

أرتكبُ القصيدةَ المغامِرَهْ
واللغةَ المغامِرَهْ
والصُوَرَ المغامِرَهْ
ألهثُ فوق الورق الأبيض كالمجنونْ

أشربُ ضوءَ القمرِ الطالعِ من حدائق العيونْ
أدخُلُ في رائحة النَعْناعِ،
في كثافةِ السُمَّاقِ،
في تجمُّع المياه تحت الأرضِ،
في حرائق العقيق،
في توجُّع الليمونْ...
أرتكبُ الموتَ على نَهْدينِ طائشيْنِ
يجهلانِ، ما هو القانونْ؟؟

* * *

أرتكبُ النبيذَ...
والأريكةَ الخضراءَ...
والدشْداشَةَ المصريّةَ النُقُوشِ...
والقُرْطَ العراقيَّ الذي
يَسْرحُ كالغزال فوق عُنْقِكِ الطويلِ،
والخلخالَ في الساقيْنِ...
والعطرَ الخرافيَّ الذي يخترقُ الأعماق كالسكّينِ،
والخَصْرَ الذي تحسبُهُ حقيقةً
ثمّ إذا تمسّكتَ به،
يغيبُ كالظنونْ...

* * *

أصرخُ تحت المَطَرِ الأسْوَدِ في عينيكِ...
كالمجنونْ...
أرحلْ من مرافىء الشِعْر الذي كانَ
إلى مرافىء الشِعْرِ الذي يكونْ...

قَصائدُ مَغْضُوبٌ عَلَيْها...، 1986

وَجْهُكِ مثلُ مطلع القصيدة

وَجْهُكِ... مثلُ مَطْلَعِ القصيدَهْ
يَسْحَبُني...
يَسْحَبُني...
كأنَّني شِراعْ
ليلًا، إلى شواطىءِ الإيقاعْ.
يَفْتَحُ لي، أُفُقًا من العَقيقْ
ولَحْظَةَ الإبْداعْ
وجْهُكِ... وجهٌ مُدْهِشٌ
وَلَوْحَةٌ مائيَّةٌ
ورِحْلَةٌ من أبْدَعِ الرِحْلاتِ
بينَ الآسِ... والنَعْناعْ...

* * *

وجهُكِ...
هذا الدفترُ المفتوحُ، ما أَجْمَلَهُ
حينَ أراهُ ساعةَ الصَباحْ
يحملُ لي القَهْوةَ في بَسْمَتِهِ
وحُمْرةَ التُفَّاحْ...
وجْهُكِ... يَسْتَدْرِجُني
لآخِرِ الشِعْرِ الذي أعرفُهُ
وآخِرِ الكَلامْ...

وآخِرِ الوَرْد الدِمَشْقيّ الذي أُحبُّهُ
وآخِرِ الحَمامْ...

* * *

وجْهُكِ يا سيّدتي.
بَحْرٌ من الرُموزِ، والأسئلةِ الجديدَهْ
فهل أعودُ سالمًا؟
والريحُ تَسْتَفِزُّني
والموجُ يَسْتَفِزُّني
والعِشْقُ يَسْتَفِزُّني
ورِحْلتي بعيدَهْ...

* * *

وَجْهُكِ يا سيّدتي.
رسالةٌ رائعةٌ
قَدْ كُتِبَتْ...
ولم تَصِلْ، بَعْدُ، إلى السَماءْ...

تزوّجتُكِ.. أيَّتُها الحُريَّة، 1988

الحاكِمُ والعُصفور

1

أَتَجوَّلُ في الوطن العربيِّ
لأقرَأ شِعري للجُمهورْ
فأنا مُقتَنِعٌ
أنَّ الشعرَ رغيفٌ يُخبَزُ للجُمهورْ
وأنا مُقتَنِعٌ – منذُ بدأتُ –
بأنَّ الأَحرُفَ أسماكٌ
وبأنَّ الماءَ هو الجُمهُورْ...

2

أَتَجوَّلُ في الوطن العربيِّ
وليسَ معي إلّا دفتَرْ...
يُرسِلُني المخفَرُ للمخفَرْ...
يَرميني العَسكَرُ للعَسكَرْ...
وأنا لا أحملُ في جيبي إلّا عُصفورْ
لكنَّ الضابطَ يوقِفُني
ويريدُ جوازًا للعُصفورْ
تحتاجُ الكِلمَةُ في وَطَني
لجَوَازِ مُرورْ!!

3

أبقى مَرمِيًّا ساعاتٍ...
مُنتظِرًا فَرَمَانَ المأمورْ
أتأمَّلُ في أكياسِ الرَّملِ،
ودَمعي في عينيَّ بُحُورْ
وأمامي، ارتَفعَتْ لافِتَةٌ
تتحدَّثُ عن (وَطَنٍ واحِدْ)...
تتحدَّثُ عن (شعبٍ واحِدْ)...
وأنا، كالجُرذِ، هُنا قاعِدْ
أتقيَّأُ أحزاني...
وأدوسُ جميعَ شعارات الطَبشورْ
وأظلُّ على باب بلادي
مَرميًّا كالقَدَح المكسورْ...

لا، 1970

الـهَرَم الرَّابع

1

السيِّدُ نَامْ...
السيِّدُ نَامْ...
السيِّدُ نامَ كنَوم السيفِ العائدِ من إحدى الغَزَواتْ
السيِّدُ يرقُد مثل الطفل الغافي في حُضن الغَاباتْ
السيِّدُ نامَ...
وكيفَ أُصَدِّقُ أنَّ الهَرَمَ الرابعَ ماتْ؟
القائدُ لم يَذهَبْ أبدًا
بل دخَلَ الغُرْفَةَ كي يرتاحْ
وسيصحو... حين تُطِلُّ الشمسُ
كما يصحُو عطرُ التُّفَّاحْ
الخبزُ سيأكُلُهُ مَعَنا...
وسيشربُ قهوتَهُ مَعَنا...
ونقولُ لَهُ...
ويقولُ لنا...
القائِدُ يَشعُرُ بالإرهاقِ،
فَخَلُّوهُ يَغْفُو سَاعاتْ...

2

يا مَن تبكونَ على ناصِرْ

السيّدُ كانَ صديقَ الشمسِ،
فكُفّوا عن سَكْب العَبَراتْ
السيّدُ ما زالَ هُنا...
يتمشَّى فوق جسور النيل،
ويجلس في ظلِّ النَخْلاتْ
ويزورُ الجيزةَ عند الفجر
ليلثُمَ حَجَرَ الأهراماتْ
يسأَلُ عن مِصرَ... ومَنْ في مِصرَ...
ويَسْقي أزهارَ الشُرُفاتْ
ويُصلِّي الجُمعَةَ... والعيدَينِ...
ويقضي للناس الحاجاتْ
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ...
في طَمْي النيلِ، وزَهرِ القُطْن،
وفي أطواق الفلَّاحاتْ...
في فَرَح الشعب...
وحُزْنِ الشعب...
وفي الأمثال وفي الكلِماتْ...
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ...
من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتْ؟

3

يا مَنْ يتساءَلُ: أين مضى عبدُ الناصرْ؟
يا مَنْ يتساءَلُ:
هل يأتي عبدُ الناصرْ؟...
السيّدُ موجودٌ فينا...
موجودٌ في أرغفة الخبزِ،
وفي أزهارِ أوانينا...
مرسومٌ فوق نجوم الصيفِ،
وفوقَ رمال شواطينا...

موجودٌ في أوراق المُصْحَفِ،
في صَلَوات مُصَلِّينَا...
موجودٌ في كَلِمات الحُبِّ،
وفي أصوات مُغَنّينا...
موجودٌ في عَرَق العُمَّالِ،
وفي أسوَانَ، وفي سِينَا
مكتوبٌ فوق بنادقنا...
مكتوبٌ فوق تَحَدّينا
السيِّدُ نامَ... وإن رَجعَتْ
أسرابُ الطيرِ،
سَيَأتينا...

لا، 1970

مقابلة تلفزيونية مع (غودو) عربي...

1

مُنْتَظِرٌ أن يَرْحَلَ القِطارْ
أيُّ قطارٍ كانَ...
لا يهمُّني.
أيُّ اتِّجاهٍ كانَ...
لا يهمُّني...
للشَرْقِ... أو للغربِ...
لا يهمُّني...
لجَنّةِ الفردَوْسِ، أو للنارْ...
أنا كغُودو...
أسْمَعُ الصفيرَ في الليلِ،
ولكنْ... لا أرى محطَّةً...
ولا أرى أرْصِفَةً...
ولا أرى قطارْ...

2

وقفتُ في الطابُورِ مليونَ سَنَهْ
كي أشتري تَذْكِرةً
نِمْتُ على حقائبي.
نِمْتُ على مَتاعبي.

قرأتُ ألفَ مَرَّةٍ جريدتي.
ما أسْخَفَ الأخبارْ...
نَظَرْتُ ألفَ مرَّةٍ لساعتي.
وَجَدْتُها واقفةً
عَدَدْتُ ألفَ مَرَّةٍ أصابعي
وَجَدْتُها ناقصةً
فَكَّرتُ أن أذهبَ للمرْحاضِ...
لكنْ... خفتُ أن يفوتَني القِطارْ...

3

أَتْعَبَني صقيعُ نصف الليلِ،
والتحديقُ في القُضْبانِ،
والجلوسُ أعوامًا على مقهى الضَجَرْ
أتْعَبَني انْتِظارُ ما لا يُنْتَظَرْ...
بحثتُ في صحيفة الأبْراجِ
عن (بُرْج الحَمَلْ)...
فلم أجِدْ حمامةً قادمةً
ولا طريقًا للسَفَرْ...
بحثتُ عن كأسٍ من الكونياكِ...
عن سَجائرْ...
بحثتُ عن سيّدةٍ أشُمُّ عِطْرَ جِسْمِها
قُبَيْلَ أن أُسافِرْ...
وجدتُ صرصارًا على حقيبتي.
سألتُهُ من أنتَ؟ قالَ إنّني مهاجرْ
وكان مثلي... يرتدي قُبَّعةً ومعطفًا...
وكان مثلي جالسًا...
ينتظرُ القِطارْ...

4

غُودُو أنا...
ليسَ معي تأشيرةٌ إلى بَلَدْ...
وليسَ في العالم من مدينةٍ
يَعْرِفُني فيها أَحَدْ.
كُلُّ المحطَّاتِ التي أقْصدُها
مُطْفَأَةُ الأنوارْ.
كُلُّ القِطاراتِ التي أَسْمَعُها
تمُرُّ فوقَ جُثَّتي.
هل القِطاراتُ هيَ الأقدارْ؟
غُودُو أنا.
غودُو أنا.
تسلَّقَ العُشْبُ على حقائبي
تسلَّقَ العُشْبُ على ذاكرتي
والوقْتُ فوق رَقْبَتي
يَمُرُّ كالمِنْشارْ...
لا تَتْرُكي رأسيَ في الهَواءِ، يا سيِّدتي
فهذه الدُنْيا...
بلا سَقْفٍ... ولا جِدارْ...
لا تَتْرُكيني أبدًا...
فالقلبُ إبريقٌ من الفُخّارْ...

5

مُنْتَظِرٌ، صفّارةَ القِطارْ
مُنْتَظِرٌ من يوم أن وُلِدْتُ،
لَحْظَةَ الخُرُوجِ من مدائنِ الغُبارْ
مُنْتَظِرٌ أن يزحفَ البحرُ على قصائدي،
وتهطُلَ الأمطارْ...
مُنْتَظِرٌ معجزةً، تُخْرِجُني نحو مدارٍ آخَرٍ...

نحو فضاءٍ آخَرٍ...
يؤمِنُ في بَنَفْسجِ البحرِ،
وفي حرّية الحُبِّ...
وفي تعدُّدِ الحِوارْ...

6

من ألفِ عامٍ...
وأنا مُنْتَظِرٌ إجازَتي
مُنْتَظِرٌ جزيرةً في البَحْرِ...
لا تعرفُها البِحارْ...
مُنْتَظِرٌ قصيدةً، خاتَمُها من ذَهَبٍ...
وخَصْرُها من نارْ...
مُنْتَظِرٌ فاطمةً... تأتي ومِنْ ورائِها
جيشٌ من الأشجارْ
وفي مياهِ ناهديْها... تسبحُ الأسماكُ والأقمارْ
مُنْتَظِرٌ فاطمةً... تحمِلُ في كلامِها،
حضارةَ الوردةِ... لا حضارةَ الصبَّارْ...
لولا يَدا فاطمةٍ...
ما كانَ قد تشكَّلَ النَهارْ...

7

غُودو أنا...
ولم أزَلْ أبحثُ فوق الرَمْل، عن بقيّة اخْضرارْ
ولم أزَلْ أبحثُ في الرُكامِ عن زَهْرَة جُلَّنارْ
ولم أزلْ أؤمِنُ بالشعر الذي يَطْلَعُ كالوردة
من خاصرة الدمارْ...

8

غودو أنا...

ولا يزالُ الرومُ يسجِنُونَني
ويفرضونَ حالةَ الحصارْ.
ولا يزالُ البَدْوُ يكرهُونَني
ويكرهون الماءَ...
والخُضْرَةَ...
والبِذارْ...
فَمَنْ سوى فاطِمَةٍ؟
تَرُدُّ عنّي هَجْمَةَ التَتارْ.
ومَنْ سوى فاطمةٍ تُحوّلُ الفَحْمَ إلى حدائقٍ
وتقلِبُ الليلَ إلى نَهارْ؟...

9

ما زالَ (غُودو) منذُ مليون سَنَهْ...
مُرْتَديًا مِعْطَفَهُ،
وحامِلًا أكياسَهُ،
وقانِعًا أنّ هُناك في المَدى محطَّةً
وأنَّ في إمكانِهِ، لو شاءَ،
أن يخترعَ القِطارْ...

الكبريتُ في يَدي ودُوَيْلاتُكم مِن وَرَق..، 1989

عندما أعشَقُ أزدادُ رُقِيّا

1

أنتِ في لندنَ... سِنْجابةُ حُبٍّ
تأكُلُ السُكَّرَ... والفستُقَ...
من بين يديَّا.
عَرْبَشَتْ فوقَ قميصي.
عَرْبَشَتْ فوقَ ضُلُوعي.
عَرْبَشَتْ فوقَ عُرُوقي.
واخْتَفَتْ في كَنْزَة الصوف التي ألبسُها
تجمعُ المُشْمُشَ... والزَعْتَرَ... والنَعْناعَ.
والعُشْبَ الطريَّا.

2

أنتِ في مَنْفايَ
سِنْجابَةُ عُمْري.
وأنا في لندنٍ، تبْهرُني حريَّتي.
جَسَدي يبْهرُني.
لغتي تبْهرُني.
دَهْشتي تُدْهشُني.
فكأنّي لم أكُنْ في ذات يومٍ عربيًّا
كلَّما شاهدني الناسُ صباحًا

خارجًا من تحت أهدابِكِ
ظَنُّوني نبيًّا!!

3

إنَّها تُمْطِرُ فَرْوًا
منذُ أيّامٍ، فما أحلى المَطَرْ...
إنَّها تُمْطِرُ عشْقًا
عن يميني... وشمالي.
وَوَرائي... وأمامي.
وأنا أطفُو على
بحرٍ رماديِّ الوَبَرْ...

4

مَنْ تكُونينَ أيا سيِّدتي؟
يا التي تحملُ في قُفْطانِها
عندما تجلسُ قربَ المِدْفَأهْ
كُلَّ تاريخ الشَجَرْ...
يا التي حُبّي لها
أَمْرٌ من اللَّهِ...
وعيناها قَضاءٌ وقَدَرْ...

5

أنتِ سِنْجابٌ جَبانٌ
خائفٌ من نَفْسِهِ
خائفٌ من خوفِهِ
خائفٌ من أيِّ شيءٍ في يدي...
أو في فَمي...
خائفٌ من كُلِّ ما لا يُنْتظَرْ...

6

أنتِ سِنْجابي الحَضاريُّ الذي حرَّرني
من صُداع الجِنْسِ في عصر الحَجَرْ.
تاركًا في جَسَدي
شِعْرًا...
ونَثْرًا...
وعَصافيرَ...
وقَمْحًا...
وثَمَرْ...
تاركًا في داخلي
نِصْفَ قَمَرْ...

7

أنتِ في لندنَ
سِنْجابٌ رماديُّ الفِراءْ
جاءَ كي يبني بصدري وَطَنًا
بعدما حاصَرَهُ ثلجُ الشتاءْ.
نَطَّ من أُفْقٍ إلى أُفْقٍ...
ومن غُصْنٍ إلى غُصْنٍ...
ومن نهرٍ إلى رابيةٍ
ثُمَّ ألقى عند بابي
صُرَّةً من كَسْتَناءْ...

8

أنتِ سِنْجابي الذي دوَّخَني
وَرَماني خاتمًا
في جوارير النساءْ...

9

قِطَّتي...
عُصْفُورتي.
سِنْجابَتي.
يا التي أرسَلَها اللهُ من الغَيب إليَّا
أنا ما عندي اعتراضٌ أبدًا
فاقْضُمي وجهَ المخدَّاتِ، إذا شِئْتِ...
اقْضُميني حَبَّةً من بُنْدُقٍ
إنْ توحَّمْتِ...
اجْعَليني بين أشيائِكِ
قُرْطًا ذَهَبيًّا...

10

إلعبي بالوقتِ، والأعصابِ، يا سيِّدتي
غيِّري شِعْري... ونَثْري...
وجُذُوري... وسُلالاتي...
وغُوصي خِنْجَرًا في رئتيّا...
أُدْخُلي تحتَ قميصي...
أُدْخُلي تحت شرايين يدي...
أُدخُلي في لُغَتي
أُدْخُلي في اللحم والأعصابِ
سيفًا أُمويًّا...
واغْسِليني بينابيعكِ... إنّي
لم أكُنْ قَبْلَكِ إلّا بدويًّا...

11

حَرِّريني...
من أبي زيد الهلاليِّ الذي يسكُنُني
ومن الرمل الذي يَطْمُرُني

ومن الشوكِ الذي كانَ يُغطّي شفتيَّا.
إرْفَعيني لفضاءاتِكِ، يا سيِّدتي
وانْزَعي عنّي قناعي الجاهليَّا
عَلِّميني...
كيف بالذِهْن تُشَمُّ امْرأَةٌ
كيف يغدو الجِنْسُ ترتيلًا... وإنْشادًا...
ورَسْمًا بالأحاسيسِ...
وجِسْرًا قَمَريًّا!!
كُلُّ حُبٍّ...
هُوَ – يا سيِّدتي – فِعْلُ رُقيّ
فأحِبّيني...
أَحِبّيني...
أَحِبّيني...
لأزدادَ رُقِيًّا!!...

أنا رجُلٌ واحِد وأنتِ قَبيلةٌ من النساء، 1993

عشرونَ مُحاولة لِتَشكيلِ امرأة

1

حانَ الوقتُ
لأعيدَ صياغتكِ على طريقتي
بحبْر جديدْ.
وخَطٍّ جديدْ.
وتنقيطٍ جديدْ.
حانَ الوقتُ كي أكتبَكِ كما أريدْ.
فجميعُ من كتبوكِ قبلي
كانوا يجهلونَ مبادىءَ الكتابَهْ.
وجميعُ من قرأوكِ قبلي
كانوا يجهلونَ قراءةَ النساءْ...
وتهجيةَ أحرف الأُنُوثَهْ...

2

حانَ الوقتُ
لأُغيّرَ هندسةَ خَصْرِكْ...
وأحجارَ خواتِمِكْ...
ومكانَ الشاماتِ على كَتِفَيْكِ...
وأُفَصِّلَكِ على مساحةِ قصائدي
ومساحةِ جُنُوني...

3

حانَ الوقْتُ
لأنْحَتَكِ بأُسْلُوبي (النِزاريْ)...
فأجعلَ هضابَكِ تتحرَّكْ...
وبِحارَكِ تتموَّجْ...
وسُرَّتَكِ الخرساءَ... تتكلَّمْ...
ونَهْدَيْكِ...
يقرعانِ كجَرَسيْنِ نُحاسيَّيْنِ
صبيحةَ يوم الأَحَدْ!!

4

حانَ الوقتْ
لأعلِّمَكِ شيئًا من الجُغْرافيا.
وشيئًا من الموسيقى.
وشيئًا من الشعرْ...
فجميعُ من تجوَّلُوا في قاراتكِ الخَمْسْ...
لم يعرفُوا الطريقَ إلى مناجمكِ الذَهَبيَّةْ...
وقِبابِكِ الفاطميَّةْ...
وأيقُوناتِكِ البيزَنْطيَّةْ...

5

حانَ الوقتْ
لأُطْلِعَكِ على خرائط أُنُوثتِكْ...
وأَدُلَّكِ...
على السُهُولِ التي يزرعُونَ فيها القُطنْ...
والوديانِ التي يتكاثَرُ فيها الصَفْصافْ...
والهضابِ التي يتسلَّقُ عليها العِنَبْ...
والشواطئِ التي تتزوَّجُ فيها الأسماكْ...
والعناوينِ السريَّة التي تسكن فيها

6

حانَ الوقتُ
لتعرفي شيئًا عن أسماء نَباتاتِكْ
وطُولِ أنهارِكْ.
ورائحةِ أزهارِكْ.
وعَدَدِ حمائمِكْ
ومواسمِ لوزِكِ... وخَوْخِكْ...
وسَفَرْجَلكِ الجبليْ.
وتوقيتِ مَدّكِ وجَزْرِكْ
ومواعيدِ أمطاركِ الإستوائيَّةْ...

7

حانَ الوقتُ
لتعرفي شيئًا عن العصر البُرونْزيْ.
والفنّ الفلورنسيْ.
والكريستال التشيكيْ.
والخَزَفِ الصينيْ.
والغَزَلِ العربيْ.
حانَ الوقتُ لتعرفي
إلى أيّ عصرٍ من هذه العُصُورِ الباهرَهْ
ينتمي جَسَدُكِ الجميلْ...

8

حانَ الوقتُ
كيْ أمحُوَ خُطُوطَ ذاكرتِكْ
وأُحرِقَ جميعَ المراكِبْ
التي جئتِ بها من العُصُور الوُسْطى

فليسَ وراءَكِ سوى البحرْ...
وليسَ أمامَكِ...
سوى ذراعيَّ المفتُوحَتَيْنْ...

9

حانَ الوقتُ
لأُمارِسَ عليكِ سِحْري
فتزدادَ أصابعُكِ طُولًا.
ويزدادَ خَصْرُكِ نُحُولًا.
وتزدادَ عيناكِ اتّساعًا.
ويزدادَ شَعْرُكِ حماقةً... وفَوْضى...
وخُرُوجًا على القانونْ...

10

حانَ لي...
أنْ أمُدَّ على شُرْفَتِكِ
حِبالَ قصائدي
وأخطُفَكِ – كما يفعلُ الشَراكِسَةْ –
على حصانِ الشِعرْ...

11

حانَ الوقتُ
لتخرُجي من قُنْباز أبيكِ...
ومن صُنْدُوق أُمِّكِ المُطَعَّمِ بالصَدَفْ...
فلم يَعُدْ مسموحًا لكِ أن تظلّي
حِكْمَةً مأثورةً موضوعةً في برواز
أو سمكةً للزينة في أكواريومْ
أو ثوبًا مُعَلَّقًا
في مُتْحَف التقاليد الشعبيَّةْ!!

12

حانَ الوقتُ
كي أَعجُنَكِ بالمسْكِ، والقِرْفَةِ،
والزعْفَرانْ
وأَخلُطَكِ بالسُكَّرِ، والعَسَلِ،
وحليب العصافيرْ...
حانَ الوقتُ كي أعجِنَكِ
بلحمي، وأعصابي،
وصُراخي، ونزيفي،
ومُشْتقَّاتِ دمي...

13

حانَ الوقتُ
كي تخرُجي من سِجْن النِساءْ
الذي تقضينَ بهِ
عُقُوبةَ (الأُنُوثَةِ المؤبَّدةْ)!!

14

حانَ الوقتُ
لتكسِري غلافَ شَرْنَقتِكْ
وتَغْزِلي
أوَّلَ خيطٍ من خُيُوط الحُريَّةْ...
حانَ الوقتُ لتأخُذي
شَكْلَ المَوْجَةْ...
أو شَكْلَ السَهْمِ الناريْ...
أو شَكْلَ السِنْجابَةِ...
أو القطَّةِ المتوحِّشةْ...

15

حانَ الوقتُ
لكي أُنقِذَكِ من حَلَقاتِ الدراويشْ...
وقَرْقَرَةِ النراجيلْ...
وأباريقِ القهوةِ المُرَّةْ...
ورائحةِ البَخُور الهِنْديُّ...
وخَلاخيلِ الراقصاتْ...
وطَوابير النساءِ المُنْتظِراتْ
أمامَ فراشِ شَهْرِيارْ...

16

حانَ الوقتُ
لأُغيِّرَ هويَّتَكِ القديمَةْ
وأنقُلَكِ من خانةِ المرأةِ المُعَلَّبَةْ
إلى خانةِ (التُوليبْ)...
و(الغاردينيا)...

17

حانَ الوقتُ
لتتحوَّلي من سجّادةٍ تبريزيَّةْ
تُداسُ بالدنانيرِ... والنِعالْ...
إلى جزيرةٍ من الضوء والكبرياءْ
لا تصِلُ إليها طيورُ البحرْ
ولا مراكبُ القراصِنَةْ...

18

أُريدُ أن أُخَلِّصَكِ
من مُضاجعة الخلفاءِ غير الراشدينْ...
ابتداءً من الحاكِمِ بأمر اللَّهْ...

إلى الحاكم بأمر النَهدْ...
إلى المُقْتَدِرْ...
إلى المُنْتصِرْ...
إلى المُتوَكِلْ...
إلى المُعْتَصِمِ بزنانير النساءْ...
حتّى آخرِ امرأَةٍ
دُونَ السادسة عشرةْ!!

19

أُريدُ أن أسحَبَكِ كالتُفَّاحَةْ
من بين تماسيح البحر الأحمَرْ...
وحيواناتِ (كليلةَ ودِمْنَةْ)!!

20

أُريدُ أن أُنقِذَكِ
من ديناصُورات ما قبلَ التاريخْ
التي هَرَبَتْ من متحفِ التاريخ الطبيعيْ
ودخلتِ المُدُنَ العربيَّهْ
لتُقَرْقِشَ عظامَ النساء كقِطَع البسكويتْ
وتشربَ دماءهُنَّ كالعَرَق اللبنانيْ
أُريدُ أن أُنْقِذَكِ
من (جمعية الجزَّارينَ المتَّحدةْ)
التي يرأسُ مجلسَ إدارتِها
المدعُو: عبد السرير النِسْوَنْجي!!

أنا رجُلٌ واحِد وأنتِ قَبيلةٌ من النساء، 1993

الموجزُ في بَلاغِة النِّساء

1

لو تَسْكُتينْ...
لو تَسْكُتينَ دقيقةً...
لو تَسْكُتينْ...
هذا الشريطُ سمِعْتُهُ،
وحَفظْتُهُ،
فتوقَّفي عن عَزْفِهِ
من أجل ربِّ العالمينْ.

2

أعْطي لجِسْمِكِ فُرْصةً
ليقولَ أيَّ قصيدةٍ
غَزَليَّةٍ يختارُها...
أو أيَّ بيتٍ شاءَ
من شِعْرِ الحنينْ.

3

أَعْطي لوجهكِ فُرْصَةً
حتَّى يُدوّخَني بفِتْنَتهِ...
ويغْسِلَني بفضَّتِهِ

ويقرأَ لي مساءً
ما تيسَّرَ من كتاب الياسَمينْ...

4

أَعْطي لشَعْرِكِ فُرْصةً
ليدورَ حولَ الأرضِ...
أو حَوْلي...
ملايينَ السنينْ...

5

أَعْطي لعِطْرِكِ فُرصةً
حتّى يعبِّرَ عن مشاعرهِ
بكلِّ شجاعَةٍ...
وتَطَرُّفٍ...
فالعِطْرُ مفتاحُ اليقينْ...

6

أَعطي لثغرِك فُرْصةً
حتَّى يقدِّمَ مُشْمُشًا...
وسَفَرْجلًا...
وسلالَ ليمونٍ
لكُلِّ الجائعينْ...

7

أَعْطي لنَهْدكِ فُرْصةً
حتّى يُحطِّمَ قيدَهُ
ويقُودَ جيشَ الثائرينْ...

8

أعطي لخَصْرِكِ فُرْصةً
حتّى يُثَقِّفَني...
ويَصْقُلَني
ويُشعِرَني بأنّي أنتمي
لحضارة المُتَحضِّرينْ...

9

لو تسكتينْ...
لو تسكتينَ دقيقةً، لو تسكُتينْ
كلُّ اللُّغاتِ، سوى الأُنوثةِ، كِذْبَةٌ
كلُّ البلاغة كِذْبَةٌ.
كلُّ الفصاحة كِذْبَةٌ.
كلُّ الخطابة في سرير الحُبَّ،
وقتٌ ضائعٌ...
ومهانةٌ للعاشقينْ...

10

خَلِّي فصاحتَكِ القديمةَ، جانبًا
كلُّ الكلامِ الفلسفيِّ... نسيتُهُ
إلّا كلامَ الياسمينْ!!!

أنا رجُلٌ واحِد وأنتِ قَبيلةٌ من النساء، 1993

عادات

تعوَّدْتُ قَهْوَتَكِ العربيَّةَ
كلَّ صباحٍ.
ورائحةُ البُنِّ فِعْلُ اعتيادْ.

* * *

تعوَّدْتُ صَوْتَكِ
يضرِبُ مثلَ البيانُو
خفيفًا.
عميقًا.
حزينًا.
وصوتُ النساءِ، مُعاشَرةٌ واعتيادْ...

* * *

تعوَّدتُ عِطْرَكِ
يدخُلُ تحتَ مسامات جِلْدي
وقد يصبحُ العِطْرُ...
– مثلَ الكتابةِ –
فِعْلَ اعتيادْ...

* * *

تعوَّدْتُ وجْهَكِ...
يكتُبُ نِصْفَ القصيدة قَبْلي.

ويُمْسِكُ خيطَ العبارة قَبْلي.
ويغمسُ إصْبَعَهُ
في المدادْ...

* * *

تعوَّدْتُ شَعْرَكِ
يمتدُّ مثلَ العريشة فوقي...
ويصهلُ فوق ضُلوعي
صهيلَ الجِيادْ...

* * *

تعوَّدْتُ قُفْطانَكِ المَغْرِبيَّ
يُنَقِّطُ وردًا، وماءً، عليَّ...
وفي حالة العِشْقِ...
يُصْبح ثوبُ الحبيبة بيتًا...
ويُصبحُ أُمًّا...
ويغدو لنا وطنًا... مثلَ كُلِّ البلادْ...

* * *

تعوَّدْتُ عينيْكِ
مثلَ حَشيشَةِ كَيْفٍ...
فما عدتُ أُبْصِرُ
بينَ العيونِ الكبيرةِ...
إلَّا السَوادْ...

* * *

تَعَوَّدْت...
أن أَتَغطَّى بريشِ حَنانِكِ
خمسينَ عامًا...
ومنذُ سَحَبْتِ غطاءَ الأُمومةِ عنّي
نسيتُ الرُقادْ...

* * *

تَعوَّدْتُ جسْمَكِ...
يسْرُقُ نصْفَ الشراشفِ منّي
ونِصْفَ الوسادْ.
ويَحتلُّني بُوصَةً بُوصَةً
ويتركني كَوْمَةً من رَمادْ...

أنا رجُلٌ واحِد وأنتِ قَبيلةٌ من النساء، 1993

اللغةُ الأُنثى

1

لُغتي أنتِ...
التي يقرأُ فيها الناسُ عينيْكِ...
إذا هُمْ قَرأُوها.
ويَشمُّونَ بها رائحةَ الوَرْدِ الدمشقيّ
إذا ما اسْتَنْشَقُوها.
ويحطُّونَ على ثغركِ أسرابًا من النَحْلِ،
إذا هُمْ سَمِعُوها...

2

لُغتي أنتِ... التي أُشْبِهُها.
والتي تُشْبِهُني.
والتي تَسْكُنُني.
مثلما أسكُنُ فيها...
والتي إنْ ضيَّعوني
وجَدُوا عينيْكِ فيها...

3

لُغتي أنتِ... التي شَكَّلْتُها
من مياه الأنهرِ السَبْعة في الشامِ،

ومن دَوْزَنَة الرَصْدِ،
وتقسيمِ المواويلِ... وموسيقى البَياتْ...
لغةٌ أسْبَحُ في إيقاعِها
مثلما الأسماكُ في نهر الفُراتْ...

4

لغتي أنتِ... التي لا لُغَةً تُشْبِهُها
بين آلاف اللُغاتْ...
لغةٌ مَنْسوجةٌ من وَبَر الخَوْخِ...
ومن دمع الكَمَنْجاتِ...
ومن غَزْل البَناتْ...

5

لُغَةٌ مَنْقولةٌ عنكِ
فَطُولُ الشَعْرِ واحِدْ...
ومحيطُ الخَصْرِ واحِدْ...
وامتلاءُ الثغر واحِدْ...
وجُنونُ الصدرِ واحِدْ...
وصُراخُ الحَلَماتْ!!...

6

لُغَتي أنتِ... التي ألبسُها في عُنُقي
مثلَ القِلادَهْ...
والتي أحفظُها عن ظهر قلبٍ
قبلَ لحْظَاتِ الولادَهْ...
والتي جَمَّلْتُها بالشِعْرِ أثناءَ الولادَهْ...
ووضعتُ الذَهبَ المشغولَ في مِعْصَمِها
بعدَ تاريخ الولادَهْ...

7

لُغَتي أنتِ التي لَمْلَمْتُها
من بُخارى... وسَمَرْقَنْدَ...
وكشميرَ... وتبريزَ... وبغدادَ...
وأسواقِ دمشقٍ... ومَزاراتِ النَجَفْ...
والتي رصَّعْتُها بدُموعي...
كأباريق الخَزَفْ...

8

يا التي صارَتْ بشِعْري لغةً...
وبنَثري لغةً... وبعِشْقي لُغةً...
سافري شرقًا وغربًا...
وشمالًا وجَنُوبًا...
سافري حتّى نهاياتِ السَفَرْ...
إنَّ أشعاري التي غنَّيْتُها لكِ يا سيِّدتي
سوفَ تُعطيكِ جوازًا للسَفَرْ!!...

9

لُغَتي أنتِ...
وكم يُسْعِدُني أن أُحِبَّ امرأةً...
هي من أحلى...
ومن أرْقى...
ومن أصفى اللُغاتْ...
لُغَتي الأُمُّ التي تُشْعِرُني
أنّني ما زلتُ موجودًا على قَيْد الحياةْ...

10

كَلِماتي أنتِ...
إنْ لم تَزْرَعيها

بينَ نَهْدَيْكِ...
فلا معنى لكُلِّ الكلماتْ!!...

تَنْويعاتٌ نِزاريَّةٌ عَلى مَقامِ العِشقْ، 1996

لا ثقافةَ لرجلٍ لا يعشَقْ!!...

1

كلُّ كتابةٍ هيَ أُنثى.
ولو كتبَها رَجُلْ!!...
وكلُّ ثقافةٍ، لا يُعْتَدُّ بها
إذا لم تتشكَّلْ في رَحِمِ امرأَهْ...
لذلكَ، سُمِّيَتْ الوردةُ وردَهْ...
واللوحةُ لوحَهْ...
والمنْحُوتَةُ مَنْحوتَهْ...
والقصيدةُ قصيدَهْ...
والروايةُ روايَهْ...
والسمفونيَّةُ سَمْفونيَّهْ...
وفي حين كانَ الرجُلُ يُعْلنُ الحربْ...
كانت المرأةُ تُعْلِنُ الحُبُّ...
وتصنعُ القصائدَ والأطفالْ!!

2

الشاعرُ الذي يقولُ لكَ:
إنَّ شيطانَهُ ذَكَرْ...
مُصابٌ بانحرافٍ جِنْسيٌّ!!

3

والكاتبُ الذي يقولُ لكْ:
إنَّ كلّ مؤلّفاتِهْ
تعبَقُ برائحة الذُكورَهْ...
هو كاتبٌ لم يكتُبْ شيئًا...

4

إنَّ المثقّفينَ الذين يمارسونَ الحُبْ
مع النُصوصْ...
وينامُونَ مع المَخْطوطاتْ...
ويستخرِجونَ النساءَ من بطن القواميسْ...
هُمْ عُشَّاقُ مُخْتَبراتْ...
ومثقَّفو أنابيبْ!!...

5

اللغةُ التي أكتُبُ بها.
ليسَتْ من صياغتي وحدي.
بل هيَ تطريزُ يَدَيْكِ الطَريَّتَيْنْ...
كخيطانِ غَزْل البَناتْ...
والمعجونَتَينِ بعَسَل الشمعْ...
وماءِ الزهرْ...
وحلاوةِ قَصَب السُكَّرْ...

6

لُغَتي خاتمٌ من الفيرُوزْ...
تلبسينَهُ في الحفلات العامَّهْ
كشمسٍ في أصابعِكْ...
فيحسبُكِ الساهرُونَ منارةً بحريَّهْ...
ويرونَ النهارَ قبلَ ولادة النَهارْ...

7

لُغتي... هي فضيحَتُكِ الجميلَهْ...
فإلى أينَ تهربينْ؟
من إيقاع حُروفي
وسُلْطَة قصائدي؟؟...

8

اللغةُ التي أكتُبُ بها.
هي ذاتُ اللُغَةِ التي أُحِبُّكِ بها.
لغةٌ مائيّةٌ جدًّا.
شاميّةٌ جدًّا.
مُدلَّلةٌ جدًّا.
فيها شيءٌ من زَغَب الحَمامْ.
وطُفولةِ الياسمينْ.
وبُكاءِ النوافير الدمشقيَّهْ.
عندما تكونُ في حالة عشقْ...

9

لُغَتي أنتِ التي تَصْحَبُني
من مطارٍ لمطارٍ
مثلَ أشياءِ السَفَرْ.
لُغَةٌ ألبسُها صيفًا... شتاءً
فوقَ جِسْمي...
مثلَ أوراق الشَجَرْ...

10

لُغَةُ الحبِّ التي أكتُبُ بها.
لم تخرُجْ لي كالقُمْقُمْ السحريِّ من البحرْ...
أو من جُراب الساحرْ...

ولا عثرتُ عليها كمخطوطةٍ قديمَةٍ في أحد المزاراتْ...
بل تعلَّمْتُها على يَدَيْكِ...
حَرْفًا حَرْفًا... سَطْرًا سَطْرًا...
جُمْلَةً جُمْلَهْ... قُبْلَةً قُبْلَهْ...

11

هذه اللغةُ الجميلَهْ.
التي أتزيّنُ بها، كطاووسٍ إفريقيٌّ
تشكَّلتْ كشرْنَقَةِ الحرير على أشجار نَهدَيْكِ...
هذه اللغةُ الإستثنائية، الدائمةُ الدهشةِ والتوتُّرْ
هذه اللغةُ الشعريّة، المتوحّشة، الراديكاليّة...
هي من صياغتِنا المشتركة، أنتِ وأنا...
فمرّةً غزلناها بخيطان الكَلِماتْ...
ومرّةً بخيطان الشَهَواتْ...
ومرّةً بخيطان التطرُّفِ والجُنونْ!!...

12

صعبٌ عليَّ أن أُميِّزَ بين الوَرَقةِ البيضاءْ
وجَسَدِكِ الأبيضْ.
صعبٌ أن أرسُمَ حدودًا بين حالةِ الصبابَهْ...
وحالةِ الكتابَهْ...

13

ليسَ هناكَ لغةٌ عظيمَهْ...
بلا حُبٍّ عظيمْ...
فكُوني حبيبتي، حتّى أسْتَحِقَّ مَجْدَ الكتابَهْ...
فلا مجدَ لكاتبٍ، لا يعشَقْ!!

14

إنّني أكتُبُ القصائدَ الجيّدهْ...
لأنّني عاشقٌ جيّدْ...
وإذا كانت لغتي تتدفَّقُ عافيةً ونضارَهْ...
فلأنّها رضعَتْ من ثَدْي امرأَهْ!!...

15

إنَّ الكلامَ مع النساءِ حَضارَةٌ.
فإذا ذَهَبْتِ...
فمَنْ يُعلّمني الكَلامْ؟؟...

16

اللغةُ التي صنَعتُ بها مَجْدي
هيَ من محاصيل أُنوثَتِكْ...
وتجلّياتِ جسدِكْ...
وثقافةِ نَهديْكِ اللذين يختصرانِ تاريخَ النَحتْ...
وتاريخَ العَمارَهْ...

17

أنا لا أكتُبُ شِعْري في المُخْتَبَراتْ.
ولا أسْتَنبتُهُ كالأزهار الصناعيَّهْ...
إنَّ جَسَدَ حبيبتي... هو الأرضُ الطيّبَهْ
التي أرمي فيها بُذورَ كلماتي!!

18

كلّما بعثتُ برسالة حبٍّ إلى إحدى النساءْ...
يُعرّشُ الوردُ على صندوق البريدْ!!

19

لا بُدَّ لقصيدة الحُبِّ...
من البقاء تسعةِ أشهُرْ...
أو تسعةِ أعوامٍ... أو تسعةِ قُرونْ...
في رَحِمِ امرأَهْ...
وإذا لم تُكْمِلْ مدَّةَ حَمْلِها...
تحوّلتْ إلى طِفْلٍ مُعاقْ!...

20

كلُّ قصيدةٍ ليسَ لها جَذْرٌ نسائيٌّ
هي قصيدةٌ من الخَشَبْ!!

21

كلّما كتبتُ عن عطر امرأَهْ...
تصيرُ رائحتي أطْيَبْ...

22

كلُّ لغةٍ تعتبرُ نونَ النِسْوَة عَوْرَهْ...
وتاءَ التأنيثِ عَوْرَهْ...
هي لغةٌ مُتصحِّرهْ...

23

المرأةُ لا تُحبُّ الخطابَ الصوفيَّ.
ولا الشِعْرَ العُذْريَّ... ولا الرسْمَ التجريديَّ...
ولا تُريدُ (كاميراتٍ) تُصَوّرُها
من مسافة ألفِ سنةٍ ضوئيَّهْ.
إنّها تريدُ شعراء يعجنُونَها بالقِرْفَةِ، والزعْفَرانِ،
والبهاراتِ الهنديَّهْ...
ويهبطونَ بالمظلّاتِ فوق قبابِ غرناطهْ...

وبساتينِ الأندلسْ...
ومضيقِ (جَبَل طارقْ)!!...

24

المرأةُ لا تُريدُ محاضرةً عن العِشقْ...
ولكنَّها تريدُ العِشقْ!!

تَنْويعاتٌ نِزاريَّةٌ عَلى مَقامِ العِشقْ، 1996

أنا والنساء

1

أريدُ الذهابَ...
إلى زَمَنٍ سابقٍ لمجيء النساءْ...
إلى زمنٍ سابقٍ لقُدُوم البكاءْ
فلا فيهِ ألْمحُ وجهَ امرأهْ...
ولا فيهِ أسمعُ صوتَ امرأهْ...
ولا فيهِ أشنقُ نفسي بثدي امرأَهْ...
ولا فيه ألعقُ كالهرِّ رُكْبَةَ أيّ امرأَهْ...

2

أريدُ الخروجَ من البئر حيًّا...
لكي لا أموتَ بضَرْبَة نَهْدٍ...
وأُهْرَسَ تحت الكُعُوب الرفيعةِ...
تحت العيون الكبيرةِ،
تحت الشفاه الغليظةِ،
تحتَ رنين الحِلَى، وجُلُود الفِرَاءْ
أريدُ الخروجَ من الثقبِ
كي أتنفَّسَ بعضَ الهواءْ...

3

أريدُ الخروجَ من القِنّ...
حيثُ الدَجَاجَاتُ...
ليس يفرّقْنَ بين الصباحِ وبين المَسَاءْ
أُريدُ الخروجَ من القِنّ...
إنَّ الدَجاجاتِ مزَّقْنَ ثوبي...
وحلَّلنَ لحمي...
وسَمَّيْنَني شاعرَ الشُعَراءْ...

4

كرهتُ الإقامةَ في جَوْف هذي الزُجَاجَهْ...
كرهتُ الإقَامَهْ...
أيمكنُ أن أتولَّى
حراسَةَ نَهْدَينِ...
حتّى تقومَ القيامَهْ؟؟
أيمكنُ أن يصبح الجِنْسُ سِجْنًا
أعيشُ به ألفَ عامٍ وعامْ
أريدُ الذهابَ...
إلى حيث يمكنني أن أنامْ...
فإنّي مللتُ النبيذَ القديمَ...
الفِراشَ القديمَ...
البيانو القديمَ...
الحوارَ القديمَ...
وأشعارَ رامبو...
ولَوْحات دالي...
وأعينَ (إلْزا)
وعُقْدَةَ كافْكا...
وما قالَ مجنونُ لَيْلى
لشرح الغرامْ...

متى كانَ هذا المُخَبَّلُ مجنونُ ليلى...
خبيرًا بفنّ الغرامْ؟
أريدُ الذهابَ إلى زمن البحرِ...
كي أتخلَّصَ من كل هذي الكوابيسِ،
من كلّ هذا الفِصَامْ
فهل ممكنٌ؟
– بعد خمسينَ عامًا من الحُبِّ –
أن أستعيدَ السلامْ؟؟

5

أريدُ الذهابَ... لما قَبْلَ عصر الضفائرْ
وما قَبْلَ عصر عُيُون المَها...
وما قَبْلَ عصر رنين الأساورْ
وما قَبْلَ هندٍ...
ودَعْدٍ...
ولُبْنَى...
وما قَبْلَ هزِّ القُدُودِ،
وشَدِّ النهودِ...
ورَبْط الزنانير حول الخواصرْ...
أريدُ الرحيلَ بأيِّ قطارٍ مُسَافرْ
فإنَّ حُرُوبَ النساءْ
بدائيَّةٌ كحروب العشائرْ
فقَبْلَ المعاركِ بالسيفِ،
كانتْ هناكَ الأظافِرْ!!

6

كرهتُ كتابةَ شعري على جسد الغانياتْ
كرهتُ التَسَلُّقَ كلَّ صباحٍ، وكلَّ مساءٍ
إلى قمّة الحَلَماتْ...

أُريدُ انتشالَ القصيدة من تحت أحذية العابراتْ
أريدُ الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيد اللغاتْ
أريدُ عناقًا بلا مُفْرَداتْ
وجنْسًا بلا مُفْرَداتْ
وموتًا بلا مُفْرَداتْ
أريدُ استعادةَ وجهي البريءِ كوجه الصلاةْ
أريدُ الرجوعَ إلى صدر أمّي
أريدُ الحياةْ...

سَيَبقى الحبُّ سيّدي..، 1987

سأقفلُ بابَ القصيدة...

1

سأُقْفِلُ بابَ القصيدةِ...
حتَّى تنامي...
وأشطُبُ كُلَّ السطورِ،
وكُلَّ النقاطِ،
وكُلَّ الدوائر، حتّى تنامي...
وسوفَ أؤجِّلُ عِشْقي قليلًا...
وحُزْني قليلًا...
وقَيْلُولَتي فوق قُطْن يَدَيْكِ... قليلًا
فأنتِ تعبتِ بفَوْضى حُرُوفي
وفَوْضى مِزاجي...
وفوضى وُعُودي
وإنّي تعبتُ من الحَفْرِ فوقَ الرَخامِ.

2

سأُقْفِلُ بابَ جميع اللُّغات...
فليس لديَّ كلامٌ،
يُغطّي المسافةَ بين صهيل يديَّ
وبين هديل الحَمامِ...
وليس لديَّ قصيدةُ شِعْرٍ

بها تنعمينَ ببعض السَلامِ...

3

سأُقْفِلُ بابَ جُنُوني قليلًا...
وأترُكُ كُلَّ الحماقات خَلْفي.
وفِكْرَ البداوة خَلْفي.
وعَصْرَ التخلُّفِ خَلْفي.
وأترُكُ شأنَ الغَرامِ
لأهلِ الغرامِ...

4

سأُقْفِلُ بابَ الشرايينِ...
حتّى تنامي.
فمنذُ ثلاثينَ عامًا
ونَهْدُكِ...
ينزِفُ مثلَ المسيح، أمامي.
ومنذُ ثلاثينَ عامًا...
أُفَتِّشُ عن وردة الشِعْرِ،
تحتَ الرُكامِ...

5

خُذي حَبَّةً... ضِدَّ شوقي إليكِ.
وواحدةً...
ضِدَّ شِعْري الذي يتوضَّأُ كلَّ صباحٍ
بماء الينابيع في رُكْبَتَيْكِ...
وواحدةً...
ضِدَّ كلِّ العصافيرِ... كي لا تجيءَ...
لتلتقطَ القَمْحَ من شَفَتَيْكِ...
خُذي نصفَ عُمْري، ونامي.

خُذي كُلَّ عُمْري، ونامي.
فبعدَ ثلاثينَ عامًا من الشِعْرِ، والعِشْقِ...
كم أنتِ في حاجةٍ أن تنامي...

6

خُذي ما كتبتُ...
وما سوفَ أكتُبُ...
إنّي تعبتُ من السير فوقَ الصفيحِ،
وفوقَ الزُجاجِ.
تعبتُ من الحُبِّ، أسرقُهُ من ثُقُوب الخيامِ.

7

أردتُ صياغةَ عَيْنَيْكِ شِعْرًا...
ولكنّني ما وصلتُ لشيءٍ...
فكُلُّ الكتاباتِ، قَبْلَكِ صِفْرٌ.
وكُلُّ الكتاباتِ، بَعْدَكِ صِفْرٌ.
فهل من كلامٍ يَقُولُكِ...
دونَ كلامِ؟؟

هَلْ تسْمعين صَهيل أحْزاني؟، 1991

بُورتريه بالقلم الرصاص

كئيبٌ... نَعَمْ.
مَلُولٌ... نَعَمْ.
نَرْجِسيٌّ... نَعَمْ.
أنا المُتَنَاثِرُ بينَ المَنافي
أنا المتسكّعُ في طُرُقاتِ العَدَمْ
عشقتُ ألوفَ النساءِ... نَعَمْ.
خَذَلتُ ألوفَ النساءِ... نَعَمْ.
وودَّعْتُهُنَّ بكلِّ اللياقاتِ...
حين اعتراني السأَمْ...
وأغلقتُ كُلَّ دفاتر حُبِّي
فحُبِّي الحقيقيُّ... كانَ القَلَمْ...

الأوراقُ السِّريّة لعاشِقٍ قُرْمُطِيٍّ، 1988

كلمة الناشر

لقد خصّصنا لكم في هذه المجموعة، «عاشق الكلمات»، انتولوجيا فريدة من قصائد نزار قباني، تشهد لمهارة لغوّية متألّقة لهذا الشاعر الذي لا يزال يفتّشُ «**عن الحرف التاسع والعشرين في الأبجديّة العربيّة... قد يكون الحرف التاسع والعشرون موجودًا أو غير موجود... وقد يكون حقيقةً أو قد يكون كِذْبَة... وقد يكون كحجر الفلاسفة تشكيلًا ذهنيًّا بحتًا... ولكن رغم كلّ شيء، لا يستطيع الشاعر الحقيقي إلّا أن يفترض وجوده... ويستمر في رحلة البحث عنه.** [1]»

«أوّل ما شغل بالي حين بدأت أكتب، هو اللغة التي أكتب بها. وبالطبع، كانت هناك لغة، بل لغة عظيمة ذات إمكانيّات وقدرات هائلة. لكنّ اللغويّين فرضوا عليها احتكارًا رهيبًا وأقفلوا عليها الأبواب ومنعوها من الإختلاط والخروج إلى الشارع.

كانت اللغة «أملاكًا خصوصيَّة»، واللغويّون «جمعيّة منتفعين»، وكانت الفتوى بشرعيّة كلمة أو تعريب مصطلح علميّ أو تقنيّ، تستغرق المجامع اللغويّة ثلاث سنوات من التنجيم والإستخبارات... والألوف من كؤوس الشاي ومحلول البابونج...

إلى جانب هذه اللغة المتعجرفة التي لم تكن تسمح لأحد أن يرفع الكلفة معها، كانت اللغة العامّيّة تقف في الطرف الآخر، نشيطة، متحرّكة، مشتبكة بأعصاب الناس وتفاصيل حياتهم اليوميّة.

بين هاتين اللغتين كانت الجسور مقطوعة تمامًا. لا هذه تتنازل عن كبريائها لتلك، ولا تلك تجرؤ على طرق باب الأولى والدخول في حوار معها.

ومن هنا كنا نشعر بغربة لغويّة عجيبة، بين لغةٍ نتكلّمها في البيت، وفي الشارع، وفي المقهى، ولغةٍ نكتب بها فروضنا المدرسيّة، ونستمع بها إلى محاضرات أساتذتنا... ونقدّم بها امتحاناتنا...

فالعربيّ يقرأ ويكتب ويؤلّف ويحاضر بلغة، ويغنّي، ويروي النكات، ويتشاجر، ويداعب أطفاله، ويتغزّل بعينيّ حبيبته بلغة ثانية...

هذه الإزدواجيّة اللغويّة التي لم تكن تعانيها بقيّة اللغات، كانت تشطر أفكارنا وأحاسيسنا وحياتنا نصفيْن...

لذلك كان لا بدّ من فعل شيء لإنهاء حالة الغربة التي كنّا نعانيها. وكان الحلُّ هو اعتماد «لغة ثالثة» تأخذ من اللغة الأكاديميّة منطقها وحكمتها، ورصانتها، ومن اللغة العامّيَّة حرارتها، وشجاعتها وفتوحاتها الجريئة. [2] **»**

عندما قرّر نزار قباني ابتكار لغة ثالثة في كتاباته، راهن على احتضان الجمهور لهذا المشروع، وليس على حكم النقاد الأكاديميين:

«إيماني بديمقراطيّة الشعر، دفعني إلى التفتيش عن لغةٍ تؤمن هي الأخرى بالديمقراطيّة، وتحبّ الجلوسَ في المقاهي الشعبيّة، وتشربُ القِرْفَةَ واليانسون، وتلعب «الكونكان»، وتركب أوتوبيسات الحكومة، وتنزل في فنادق الدرجة الثالثة، وتشاهد مباريات كرة القدم، ومسرحيّات عادل إمام، ودريد لحام، وتقرأ سيرةَ أبي زيد الهلالي...

كنتُ أؤمنُ أنّ الشِّعْرَ موجودٌ في عيون الناس، وفي أصواتهم، وفي عَرَقهم، ودموعهم، وضحكاتهم، وأنَّ وظيفتي كشاعر، هي أن أنقل المشهدَ الشعبيَّ الكبير.

وهذا ما فعلتُهُ خلالَ خمسينَ عامًا. لذلكَ تجمَّع الناس حول شعري، ليسمعوا حكايتهم، وليشاهدوا شريطَ الفيديو الطويل الذي أخرجتُهُ عن حياتهم. وإذا كانت أشرطةُ الفيديو الشعريّة التي أنتجتُها هي الأكثر انتشارًا... فلأنّ سكّان الحارات الشعبيّة يحبّون أن يروا صورتَهم بالألوان الطبيعيّة، وعواطفهم بالألوان الطبيعيّة... بدون أقنعة... وبدون ماكياجٍ... أو مونتاج... [3] **»**

«الجمهور هو «مُخْتَبَر القصيدة» وهو الذي يقرّر فصيلةَ دمها، ونوعها، وجنسها، ويعطي التقرير النهائي عن حالتها الصحية. (...) والجمهور العربي كائنٌ شعريٌ بامتياز. وحساسيّته الشعرية لا تعادلها حساسية أي شعب آخر... فلماذا نستهين بهذه الحساسية، ونصدّق كلام بعض الشعراء الذين عجزوا عن التفاهم مع أيّة نخلة... أو أيّة نملة في الوطن العربي؟

الجمهور هو البطل الحقيقي، أما النقّاد فهم كومبارس ثانوي على هامش العمل الشعري. إنّ ألف ناقدٍ لا يستطيعون أن يصنعوا شاعرًا... أو يُطلقوا عصفورًا شعريًّا واحدًا... فالجمهور وحده، هو صانع الشعراء والعصافير... [4] **»**

تلقّف الجمهور مجموعات نزار قبّاني الشعريّة بشغف على قاعدة «احْتَرم عَقلي تَملُك قَلبي». وسرعان ما حصل تواصل طبيعي في الاتجاهين:

«مع اللُّغة، لعبتُ بديمقراطيّةٍ، وروحٍ رياضيّة.
لم أتفاصَحْ.
ولم أتفلسَفْ...
ولم أغُشَّ بورق اللُعِبْ.
لم أكسر زُجَاجَ اللغة... ولكنّني مسحتُهُ بالماء والصابُون.
ولم أُحرقْ أوراقَ القامُوس...
ولكنَّني قمتُ بعملية «تطبيع» بينه وبين الناس.
ولم أقُصَّ شاربَ أبي، وقنبازَه، وطربوشَه بالمقصّ.
ولكنّني استأذنتُهُ أن أشتري ملابسي من عند الخيَّاط «سْمَالتُو»...
ولأنَّ أبي كان حضاريًّا... فقد طلبَ منّي أن أُعرّفَهُ على «سمالتو»... [5] **»**

«الجمهور العربيّ هو عاري الجميل. هو تهمتي الكبرى التي أزرعها في عُرْوَة سترتي كالوردة، وأتبختر كطاوُوسٍ إفريقيّ...

إنّني متّهم بأنَّني أقيم علاقات جيّدة جدًّا معه... ومتّهم – وهذا هو أخطر الإتّهامات – بأنّني أكتب كلامًا يشبهه...

إنّني لا أروي لكم نكتة... ولكن هذا بالضبط ما يُقال عنّي... في مقاهي الثقافة...

وإذا لم أكتب كلامًا يشبه الشعب العربيّ... فهل أكتب كلامًا يشبه شعب تنزانيا... وموزنبيق... ومنغوليا... وفولتا العليا؟ (...) والحقيقة أنّه ليس هناك جمهور شعريّ... وجمهور لا شعريّ...

وإنّما هناك شاعرٌ يلعب لُعْبَةَ الشعر بشكل أُصُوليّ... وشاعرٌ يغشّ في وَرَق اللعب.

هناك شاعرٌ يسافر آلاف الأميال ليلتقي بالآخرين... وشاعرٌ لا يستطيع أن يغادر الورقة التي يكتب عليها...

هناك شاعر يمارس السباحة في عرض البحر... وشاعر يغرق في نقطة حبر...

هناك شاعر يختار الزواج من العالم... وشاعر يختار أن يموت على دفاتره وحيدًا... فلا يبكي عليه وَلَد... ولا يمشي في جنازته أَحَد...

(...)

إنّ الشعر، بأبسط معانيه، هو صيغة لغويّة نتفاهم بها مع الآخرين...

قُبْلةٌ... لا بدَّ لتنفيذها من وجود طَرَفَيْن... [6] **»**

بساطة، أصالة، صور قويّة وحديثة، مؤثّرة، تتوجه مباشرة الى القلب والعقل...

«حين كنت أهيّء مجموعة «قصائد متوحّشة» وأراجع مسوّداتها قبل أن أدفعها للطبع، تملّكتني الدهشة والقشعريرة وأنا أقرأ هذا الكلام في قصيدتي «إلى صامتة»:

«تكلَّمي حبيبتي... عمَّا فعلتِ اليومْ
أيَّ كتاب – مثلًا – قرأتِ قبل النومْ؟
أين قضيتِ عطلةَ الأسبوعْ؟
وما الذي شاهدتِ من أفلامْ؟
بأيّ شطٍّ كنتِ تسبحينْ؟
هل صرتِ لونَ التبغِ والورد ككلّ عامْ؟
تحدّثي... تحدّثي
من الذي دَعاكِ هذا السبتَ للعشاءْ؟
بأيِّ ثوبٍ كنتِ ترقصينْ؟
وأيِّ عقدٍ كنتِ تلبسينْ؟
فكلّ أنبائكِ يا أميرتي...
أميرةُ الأنباءْ...»

وقفتُ طويلًا أمام هذا الكلام، وتساءلتُ إذا كان الناس سيغفرون لي هذا العدوان المقصود على تاريخ البلاغة العربيّة، بكلّ ما تمثّله من استعلاء وغرور وعصمة، بل هذا العدوان على تاريخيّ الشعريّ نفسه...

وقادتني تساؤلاتي إلى تساؤلات أخرى: لماذا تكون البساطة عدوانًا على التاريخ؟ بل لماذا تكون طفولة القصيدة سببًا من أسباب إدانتها؟

هل تتعارض الطفولة مع البلاغة، وهل التعتيم هو الشرط الأساسيّ لتأكيد ثقافة الشاعر، وغنى عوالمه الجوّانيّة؟ وبكلمة أخرى هل غموض الرؤية، وغموض الوسيلة، وغموض طريقة العرض، هي معيار أهمّية الشعر وأهمّية الشاعر؟.

إنّ إزرا باوند، وهو أبو مدرسة الشعر الحرّ وبطريركها، كان ينادي بعودة الشعر إلى معالجة الأشياء مباشرةً، وفي رفض استخدام أيّة كلمة لا تضيف شيئًا إلى بناء القصيدة. وكان يقول دائمًا «إنّنا نتألّم من استخدام اللغة بغية إخفاء الفكر». وكان علم البيان هو الشيء الوحيد الذي تمنّى إزرا باوند لو أنّه قادر أن يطلق عليه النار. [7] **»**

---

[1] «ما هُو الشِعْر؟»، 1981.
[2] «قِصَّتي مع الشِعْر»، 1970.
[3] «هَلْ تسْمعين صَهيل أحْزاني؟»، 1991.
[4] «لعبتُ باتقانٍ وها هي مفاتيحي»، 1990.
[5] « هَلْ تسْمعين صَهيل أحْزاني»؟، 1991.
[6] «ما هُو الشِعْر؟»، 1981.
[7] «قِصَّتي مع الشِعْر»، 1970.